الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

المركز الجامعي لميلة

معهد الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

التوظيف الرمزي في شعر

أبي القاسم الشابي

مذكّرة مقدمة لنيل شهادة اللّيسانس، في اللّغة والأدب العربي.

تخصص: أدب عربي.

إعداد الطالب(ة) :

- خولة قردون.

- نادية دلوش.

إشراف الأستاذ(ة) :

- طارق بوحالة.

السنة الجامعية: 2013/2012

دعاء

اللهم لا تدعني أصاب بالغرور إذا نجحت ،ولا باليأس إذا فشلت

وذكرني دائما أن الفشل هو التجربة التي تسبق النجاح

اللهم إذا اعطيتني علما فلا تفقدني تواضعي

وإذا اعطيتني تواضعا فلا تفقدني اعتزازي بكرامتي

واجعلني من الذين إذا أعطوا شكروا و أذا أذنبوا استغفروا

وإذا اذوا فيك صبروا، وإذا تقبلت بهم الأيام اعتبروا.

آمين يا رب العالمين

إهداء

يا من أحمل اسمك بكل فخر ....

يا من أفتقدك من الصغر ....

يا من يرتعش قلبي لذكرك .....

يا من أودعني الله ..... أهديك هذا البحث " **أبي**" رحمه الله .

إلى ملاكي في الحياة... إلى معنى الحب، و إلى معنى الحنان و التفاني... إلى بسمة الحياة و سر الوجود،

إلى من كان دعائها سر نجاحي و حنانها بلسم جراحي، إلى أغلى الحبايب " **أمي الحبيبة** ".

إلى سندي و قوتي و ملاذي بعد الله، إلى من آثروني على نفسهم، إلى من علموني علم الحياة، إلى من

أظهروا لي ما هو أجمل من الحياة " **إخوتي و أعمامي** ".

إلى من كانوا ملاذي و ملجئي، إلى من تذوقت معهم أجمل اللحظات، إلى من جعلهم الله إخوتي في الله ...

و من أحببتهم في الله، صديقاتي " **حورية، زينب، منال، إيمان**....".

إلى من سرنا سويا و نحن نشق الطريق معا نحو النجاح و الإبداع، إلى من تكاتفنا يدا بيد و نحن نقطف

زهرة تعلمنا، إلى صديقتي " **خولة** ".

إلى الذي ساعدني في مذكرتي .... إلى الروح التي سكنت قلبي ... خطيبي " **فؤاد** ".

إلى أستاذي الفاضل "سليم بوعجاجة" الذي أمدنا بيد العون و سـ ..

إلى كل من ساعدني و أمدني بيد العون من قريب أو بعيد....

إلى الذين ذكرهم قلبي و نسيهم قلمي .....

نادية

إهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

"وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله و المؤمنين".

إلهي لا يطيب الليل إلا بشكرك و لا يطيب النهار إلا بطاعتك و لا تطيب اللحظات إلا بذكرك..... ولا تطيب الآخرة إلابعفوك ...ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك الله جل جلاله.

إلى من بلغ الرسالة وأدى الأمانة ....ونصح الأمة

إلى نبي الرحمة ونور العالمين صلى الله عليه وسلم

إلى من كلله الله بالهيبة و الوقار إلى من أحمل إسمه بكل إفتخار .....ارجوا من الله ان يرحمه و يسكنه فسيح جنانه

إلى ذكرى أبي .....الذي رحل عنا مفعما بالحنين

إلى ...من عوضتني عن الحرمان و أخدت بيدي وكافحت و تحدت .....إلى ملاكي في الحياة .....إلى معنى الحب إلى معنى الحنان و التفاني ..... إلى بسمة الحياة وسر الوجود إلى من كان دعاؤها سر نجاحي وحنانها بلسم جراحي

إلى أغلى الحبايب أمي الحبيبة

إلى القلب الطاهر و النفس الصافية إلى ريحانة حياتي وقرة عيني إلى جدتي الزهراء أطال الله في عمرها.

إلى من أرى التفاؤل بعينه و السعادة في ضحكته إلى شعلة الذكاء و النور.

إلى الوجه المفعم بالبراءة و المحبة إلى اخي عمرآن.

إلى من بوجودهما أكتسب قوة ومحبة لا حدود لها.

إلى من عرفت معهما معنى الحياة إلى ينابع الصدق الصافي إلى حبيبتي و صديقتي .إلى أخواتي إيناس وجهينة.

إلى من أدخل الفرحة و البهجة ألى حياتنا ببراءته إلى البرعم الصغير ميمو.

إلى عمي باديس.

إلى كل من خالي : رشيد ،إبراهيم، عبود، ربيع، وعبد الحميد

إلى من تحلت بالإيخاء وتميزت بالعطاء إلى صديقتي فراح .

إلى من رافقتني في المذكرة إلى صديقتي نادية.

إلى الأستاذ الذي أكن له فائق الاحترام و التقدير

إلى محمد زلاقي

كما لا يفوتني أن أشكر أستاذي الفاضل "سليم بوعجاجة" لما قدمه لنا من مساعدة معنوية و معرفية .

بدون أن أنسى كل من قدم لي يد المساعدة

حتى وإن كانت بسيطة.

إلى كل من ذكرهم قلبي و نسيهم قلمي.

خولة

شكر و تقدير

في مثل هذه اللحظات يتوقف اليراع ليفكر قبل أن يخط الحروف ليجمعها في كلمات.... تتبعثر الأحرف و عبثا أن يحاول تجميعها في سطور.

سطورا كثيرة تمر في الخيال و لا يبقى لنا في نهاية المطاف إلا قليلا من الذكريات و صور تجمعنا برفاق كانوا إلى جانبنا..... فواجب علينا شكرهم، و وداعهم و نحن نخطو خطوتنا الأولى في غمار الحياة و نخص بجزيل الشكر و العرفان، إلى كل من أشعل شمعة في دروب عملنا و إلى من وقف على المنابر و أعطى من حصيلة فكره لينير دربنا: إلى الأساتذة الكرام في كلية الآداب.

" كُن عَالمًا ... فإن لَم تَستَطع فكُن مُتَعَلمًا..فإن لَم تَستَطع فَأحبَ العُلَمَاء.. فإن لم تَستَطع فلا تَبغَضهُم "

و نتوجه بالشكر الجزيل إلى الأستاذ الفاضل " بوحالة طارق" الذي تفضل بالإشراف على هذا البحث، و على كل ما قدمه لنا من إرشادات و نصح و توجيه.

فجزاه الله عنا كل خير و له منا كل التقدير و الاحترام.

و شكرا

مقدمة

مقدمة :

تعددت تعريفات الرمز و اختلفت حسب الباحثين فالرمز بمفهومه الشامل هو ما يمكن أن يحل محل شيء آخر في الدلالة علية لا بالطريقة المطابقة التامة و إنما بالإيحاء أو بوجود علاقة متعارف عليها .

و قد لجأ الشاعر المعاصر إلى استعمال الرمز بألوانه المختلفة في قصائده و أشعاره تجسيدا لرؤية حديثة تسعى لتجديد الشعر العربي ، و إلغاء نمطيته و بناء صورته القائمة على الرموز و المجازات المكررة و قد كان لاستعمال الرمز في القصيدة الحديثة عدة أسباب أهمها :

- ضغط الواقع العربي المعيشي فقد كان الشاعر يستخدم الرمز لأنه وجد فيه ما يعبر به عن واقعه و عن نفسيته .
- إثراء القصيدة بالدلالات و شحنها بالمعاني الرمزية .
- الرمز نفسه مصدر قوة للغة الشعرية عندما يراد به إثارة الغموض في ألفاظ القصيدة.
- كما يعتبر الرمز متعة حقيقية لمن يملك زاد معرفي و ذو ثقافة أسطورية و دينية و تاريخية و شعبية شاملة تأهله لفهم الرمز كما يشترط أن يكون متشبعا نحويا و بلاغيا

و إذا كان الرمز مادة أدبية غنية جدا لا يجوز لنا حصره في سطور أو صفحات فقد ارتأينا لأهميته أن نتناوله كموضوع لمذكرتنا هاته و قد تعرضنا في دراستنا لعلم من أعلام النهضة الشعرية في المغرب العربي ، و بالأحرى لرائد من رواد الحركة التجديدية في تونس ، ألا و هو الشاعر أبو القاسم الشابي الذي تتجلى في شعره صورة حية لما بلغه من الأدب التونسي من تجدد و ازدهار ، و لم يكن اختيارنا للرمزية في شعر أي القاسم الشابي كعنوان لموضوع بحثنا صدفة ، و إنما كان رغبة منا و ذلك نتيجة لحبنا الشديد لأشعاره .

و قد اعتمدنا في بحثنا هذا على مجموعة من المراجع التي يسرت لنا عملية البحث ، و أهمها ديوان الشابي ، إضافة إلى بعض الكتب ككتاب الشابي ، حياته و شعره لأبي

القاسم محمد كرو ، مظاهر الإبداع الفني عند الشابي لعزيز لعكايشي ، و عز الدين اسماعيل في قضايا الشعر العربي المعاصر و غيرهم ، و لقد سلكنا في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي .

و اقتضت الخطة أن نقسم بحثنا إلى مقدمة و تمهيد و فصلين اثنين ، و خاتمة .

تناولنا في التمهيد: الرمزية الشعرية في الشعر الرومانسي ، أما الفصل الأول فقد تعرضنا فيه إلى مفهوم الرمز لغة و اصطلاحا هذا أولا أما ثانيا تطرقنا إلى مستويات الرمز و أنواعه (الرمز الأسطوري و الطبيعي و التراثي و الديني) أما ثالثا : تقاطعه مع المصطلحات الأخرى (الرمز و الأسطورة ، الرمز و الإستعارة) .

أما الفصل الثاني و تكلمنا فيه عن حياة الشاعر و بيئته و ركزنا على الظروف التي نشأ فيها و التي كان لها دورا فعالا في تكوين الشاعر و توجيهه ، كما سلطنا الضوء على دراسته و ثقافته و شخصيته ، و أشرنا إلى بعض آثاره الأدبية و في هذا الفصل قمنا بالتطبيق على بعض قصائد الشابي من أجل توضيح تجليات الرمز في شعره فاستخرجنا الرموز الطبيعية و الأسطورية و اللغوية .

أما الخاتمة فدونا فيها أهم نتائج التي توصلنا إليها في بحثنا هذا .

و كان من الطبيعي أن تعترضنا بعض الصعوبات كعدم توفر المصادر و المراجع التي تخدم الموضوع و صعوبة الأسلوب عند الشابي المشحون بالرموز و الصور الشعرية المكثفة مما جعلنا نميل شيئا ما إلى التحليل كمحاولة للتقرب من هذه الخصائص .

و اعترافا بالجميل فإننا نجد أنفسنا مدينين بالشكر الجزيل للأستاذ المشرف طارق بوحالة الذي تابع هذا البحث بعناية و تفان إلى أن أخرج في هذه الصورة .

كما نتوجه بعميق الشكر و الدعاء بالخير لكل من مد لنا يد العون و المساعدة و لو بكلمة تشجيع .

تمهيد:

إن أهم ما أنتجته الرومانسية هو الشعر...

كان الشعر الرومانسي أبرز الأنواع الأدبية وأشّدها اختلافا عن مثيله في المذهب الكلاسيكي. وقد عرف الشعر الرومانسي على أيدي شعراء الرومانسية الكبار حياة جديدة قوية بقيت ذات تأثير وجاذبية حتى القرن العشرين.

وقد تميزت هذه الحياة الشعرية بالعبقرية الفردية وإغراقها في التعبير عن العواطف الذاتية، والانسياق مع الخيال والحرية فالمضامين والأشكال، فالشعراء الرومانسيون عادوا إلى الشعر الغنائي الذي كان منتشرا من قبل في مختلف العصور، لان الغنائية هي خصوصية من خصوصيات الشعر ولعلها تكون أهم مميزاته.

وقد وجد الرومانسيون في النهج الغنائي أفضل ما يناسبهم فالرومانسية الشعرية تختلف عن الشعر الغنائي، إنها تسير في دربه ولكنها تمتلك هويتها الخاصة، والرومانسية الشعرية أيضا إحدى عطاءات الغنائية وأشكالها.

وقد مهد لها شعراء ما قبل الكلاسيكية مثل:

. رونسار وجماعته في فرنسا

. بتراك في إيطاليا

. غوته في مرحلته الرومانسية في ألمانيا

. بايرون في انجلترا

ولكن (هوغو) تميز بينهم بأنه كتب الشعر السياسي والهجائي إضافة إلى شعره الغنائي، مواكبا بذلك أحوال عصره، ومعبرا عما يدور فيه.

مع العلم بأنه ليس هناك رومانسية غنائية خالصة الذاتية لأنها تعبير مصّور عن عواطف وأحاسيس فردية في نطاق المشاعر العامة. وحين كان الشعراء الرومانسيون يغنون ما ينتابهم من مشاعر الفرح والألم والأمل واليأس، ومشاعر الحرية والتعاطف مع الطبيعة

والكآبة والاعتزاز بالإنسانية، كانوا من جهة ثانية يعبرون عن كل المشاعر التي يعيشها معاصروهم، بل البشر في كل العصور، وما الزمن الذي عاشوه، وعاصروه سوى مناسبة لتجديد الانفعالات المعتادة في الحياة.

ويتميز الشعر الرومانسي بالصدق في التعبير عن العواطف الفردية والمشاعر العميقة التي تختلج في أعماق النفس، والاستسلام إلى عالمها وتيارها المتدفق في منأى عن عالم الفكر والواقع.

كما يتجلى في الشعر الرومانسي الاندماج في عالم الطبيعة الواسع، والركون إلى أحضانها واستشعار جنانها وجمالها، والتماس العزاء لديها من آلام الانكسارات الحادة، والوصول إلى فلسفة طبيعية قوامها ثنائية البشر والطبيعة.

ويظهر في الشعر الرومانسي التمادي في الخيال والتصورات، سواء ما كان منها إبداعيا واعيا أم أحلاما ونزوات، وسبب ذلك هو النفور من الواقع المخيب والهروب إلى عوالم متخيلة ولو كانت عوالم الجن والخرافات وعرائس الشعر.

أما التعبير بالرمز فهو من أهم سمات الشعر الرومانسي لأنه يناسب الأجواء الغامضة التي يصعب تحديدها وإيضاحها، فهو يوجز المعاني الكثيرة، ويوحي بالانطباعات دون الحاجة إلى التفصيل والبيان، ويولد لدى المتلقي جوا من النشاط والفعالية والدخول في حالة مشاركة مع الشاعر. ولكن رموز الشعراء الرومانسيين كانت شفافة سهلة وكان لكل منهم رؤيته الرمزية وعالمه الخاص. ف (شيلي) كان يكثر من رموز الكهف والزورق والساقية والأفعى والصقر، أما (كيتس) فقد كان يرمز بالقمر والعندليب و(هوغو) كان يبحر مع الرموز الأسطورية والطبيعية المملوءة بالمهابة والرهبة. وبوجه عام كانت هناك عودة إلى أساطير اليونان، ولكن بتناول يختلف عن تناول الكلاسيكية، إنها عودة إلى المنابع الصافية والعفوية والبدائية عند (هوميروس) مثلا.

أما من الشعراء العرب الرومانسيين الذين أكثروا استخدام الرمز في شعرهم نجد الشابي و السياب ، وغيرهم.

الفصل الاول : الرمز ماهيته وتطوره.

أولا : قراءة في المصطلح.

ثانيا : مستوياته و أنواعه.

ثالثا : تقاطعه مع المصطلحات الاخرى.

و

الرمز

الخافي

المخفي

المتخفي

كالشفرة بين الحدين

و بين الضدين

بنفي

كي يثبت

...يثبت

كي ينفي

<< من آخر ما كتب الشاعر المصري محمد يوسف قبل وفاته >>

تختلف مفاهيم الرمز باختلاف الباحثين ومجالات اشتغاله ، سنحاول في هذا الفصل أن نلم بأنواع الرمز و ذكر مختلف مستوياته ثم علاقته بالأسطورة ، فالاستعارة ، وأهم ما تفرق به عن الرمز ، كما سنتطرق كذلك إلى الحركة الرمزية العربية ، و مظاهرها في الشعر العربي و على الرغم من أن الفصل النظري ، أو كما يفترض به أن يكون فإن بعض المفاهيم اضطرتنا إلي إرفاق الشواهد الشعرية من مختلف الدواوين للشعراء الذين خاضوا في الرمز و كتبوا فيه.

- **أولا مفهوم الرمز:**

الرمز هو مقابل للكلمة الفرنسية – symbole[1] - المشتقة من الكلمة الاغريقية (sombolom) بمعني علامة " signe" وهو علامة تمثيلية ، كائن حي أو شيء يمثل شيئا مجردا. أما بالنسبة للرمزية فهي مصدر عربي مقابل للمصطلح باللغة الفرنسية " symbolisme " الدال على " نظام من الرموز تعبر عن المعتقدات[2].

وقد تعدد استخدام و استغلال الرمز " فهو يظهر كمصطلح في المنطق و في الرياضيات و في نظرية المعرفة و في علم الدلالات و علم الإشارات ، كما انه له تاريخا طويلا في علم اللاهوت (الرمز أحد مرادفات العقيدة) و الطقوس و الفنون الجميلة و الشعر[3].

---

[1] larousse illustre – blraive larousse- paris-1980.p976

[2] -فاطمة بوقاسة : الرمز الثوري في الشعر العربي المعاصر /، شهادة الماجستير ، كلية الآداب و اللغات جامعة منتوري قسنطينة ، سنة 2006-2007 ، ص 18.

[3] رنيه ويليك وأستن وارين : نظرية الأدب تر ، محي الدين صبحي ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت ، د ط 1987، ص 196.

و من هنا نحاول أن نعطي مفهوما دقيقا للرمز لغة و اصطلاحا.

أ- لغة :

ورد لفظ " رمز " في لسان العرب : الرمز هو << تصويت خفي باللسان كالهمس ويكون تحريك الشفتين بكلام غير مفهوم باللفظ من غير إبانة بصوت ، وإنما هي إشارة بالشفتين و قيل : الرمز إشارة و إيماء بالعينين و الحاجبين و الشفتين و الفم ، والرمز في اللغة كل ما أشرت إليه مما يبان بلفظ بأي شيء أشرت إليه بيد أو عين (...) و رمزته المرأة بعينها ترمزه رمزا : غمزته...>>[1].

و في القرآن الكريم قوله تعالى : " قال ربي اجعل لي آية قال آتيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا و اذكر ربك كثيرا و صبح بالعشي و الإبكار" آل عمران / الآية 41.

و شرح محمد الحسن الحمصي << الرمز بمعنى أن تعجز عن تكليمهم بغير علة فلا تتفاهم معهم إلا بالإيماء و الإشارة >>[2].

ومن هنا نجد أن الرمز في اللغة يعني إنابة شيء عن شيء آخر لعلاقة بينهما إما علاقة مشابهة أو علاقة مقاربة .

و عليه فان الرمز في اللغة يعنى إنابة شيء عن شيء آخر لعلاقة بينهما إما علاقة قرانه أو مشابهة أو غير ذلك.

إذ يمكن اعتبار الرمز اللغوي رمز اصطلاحي لأن الكلمة فيه تشير إلى موضوع ما إشارة تكون مباشرة أو مقصودة و هذا ما يمكن تسميته بالعلامة أي أن الرمز يشمل على دال له عدة مدلولات.

---

[1] ابن منظور ، لسان العرب(مادة رمز) ،بيروت ، لبنان ، دار الصبح ، ط1 ، ج6 ، ص 222 ، 223 .

[2] المصحف الشريف مع أسباب النزول ، و فهرس المواضيع و الالفاظ ، تحقيق محمد الحسن الحمصي ، طبع دار الهدى ، عين مليلة ، الجزائر ، ص 55.

ويعيد أرسطو فان (448-380 قم) من أقدم الفلاسفة الذين عرفوا الرمز تعريفا لغويا حيث قال إن " الكلمات المنطوقة رموز لحالات النفس و الكلمات المكتوبة رموز لكلمات منطوقة"[1].

فلكلماته عبارة عن رموز ،مهما كانت هذه الكلمات منطوقة أو مكتوبة. أما الرمز عند "ستيفين اولمان" : فهو لا يختلف بشكل كبير عن أرسطو، إذ قسم الرمز إلى نوعين تقليدي وطبيعي ، التقليدي عبارة عن كلمات منطوقة و مكتوبة ليس لها علاقة منطقية بين شكلها و دلالتها.

ب- إصطلاحا :

يرتبط مفهوم " الرمز" بالمجال الذي ينحصر فيه ، و للوصول إلى المعني الأدبي المبتغى ، وجب علينا المرور بمفاهيم عديدة له بحسب تعدد العلوم التي احتويته ، وكذلك بحسب الخلفية المعرفية لدى الباحث ، فإلى جانب المعنى العام للرمز و الذي من رواده " بيفون" و "يبستر" و غيرهم من الفلاسفة و الباحثين الذين بحثوا عن الرمز وماهيته .

أما مفهوم الرمز عند الأدباء فلم يغب عنهم ، بدءا " بغوته" و"كانط" و" كولوج" وسنتطرق بشيء من التفصيل إلى المعنى الأدبي الذي هو غايتنا.

[1] أنظر :محمد فتوح احمد ، الرمز و الرمزية في الشعر المعاصر ، دار المعارف ، مصر، ط3، 1984 ، ص 34.

ب-أ- المفهوم العام للرمز :

ونقصد بالمعنى العام للرمز ،أي كيف كانت نظرة المفكرين في معناه الإجمالي ، دون أن يقحم في فرع معرفي محدد حتى نصل في الأخير إلى المعنى الأدبي الذي هو غايتنا ، كما سنرى أيضا أن مفهوم الرمز كان فضفاضا فهو في حاجة إلى التخصيص.

فالرمز عند إدوين بيفون مثلا يقسمه إلى نوعين اصطلاحي و إنشائي.

-أ- إصطلاحي :

" هو ما اتفق ، وتواضع عليه من الإشارات كاللفظ الذي يرمز لدلالته"[1] فالمحفظة مثلا لفظ يرمز لحقيقة الكتب و الذي جعل اللفظ رمزا لهذه الدلالة دون سواها ، هو تواضع أو التفاف مجموعة من الأفراد على هذا و الظاهر أن العلاقة هنا بين اللفظ و دلالته علاقة إعتباطية.

ب- **إنشائي** :

هو عكس النوع الأول إذ يشترط فيه الجدة بمعنى أنه تكون الرموز مبتكرة ليصطلح عليها ويقدم " بيفون" " مثالا للنوع الانشائى بالرجل الأعمى الذي يتساءل عن ماهية اللون الأحمر و لعماه ستضطر إلى تصويره له على أنه يشبه قوة نفير البوق".[2]

و الملاحظ هنا أن النوع الأول يتنافى مع قيمة التشابه التي تعد من خصوصيات الرمز و ما يرمز إليه و ما دامت العلاقة بين اللفظ ومعناه إعتباطية غير مفسرة ولا منطقة فهي ستخضع بالتالي إلى عملية << تجديد عقلي تختلف تماما عن العملية النفسية تصحب استكشاف الرمز و استخدامه >>[3]

---

[1] أنظر المرجع السابق ، ص 34.

[2] المرجع نفسه ص 34.

[3] عز الدين إسماعيل : الشعر العربي المعاصر قضاياه و ظواهره الفنية والمعنوية ، دار الثقافة بيروت ، ص 201.

أما بالنسبة للرمز في النوع الثاني أو الآخر، فنجد فيه شيء في الرمز الأدبي ، و هذا لتحقيق تشابه << المرئي بالمسموع أو الحس المجرد لكنه يفقد بعض من قيمته وهذا حين يكون أصل الاستشهاد المعيش لا واقع الأدبي >>[1].

عند ويبستر : نجد الرمز فضفاضا ومتسعا ، فهو و إن كان إيماء شيء إلي شيء آخر إلا انه مقيد غير مطلق ، إذ تصحبه ثلاثة شروط ليتحقق : الاقتران ، و الاصطلاح و التشابه العرضي غير المقصود...[2]

فالرمز عنده مجرد تداع أو شيء مصطلح عليه أو هو مجرد تشابه عارض له و هذا المفهوم يتنافى و الرمز الأدبي الذي تكمن قيمته في غموضه و جدته من جهة ، واختلاف دلالته باختلاف المتلقين له من جهة أخرى أضف إلى كل هذا تلك العلاقة الباطنية التي تربط الرمز جما يرمز إليه وقيمة الرمز إنما في الأصل هي نتاج قصدية الرامز ،و لايمكن للرمز أن يتحقق بدون " تفاعل بين الرامز و المرموز إليه"[3].

و من هنا << فالرمز في إيحائه عما يحتويه ، لا يعتمد على مبدأ التناظر أو التماثل ، و لا يتوقف عند حدود المشابهة بل ينبثق من خلال أبنية العلاقات الباطنية و ما تفرزه من أنماط تناسبيه أو نظام لغوي مكتنز بالمحتمل ،و يدفع بالمتلقى لإعادة خلق ترابط فكري محتدم يتجاوز حد الالتقاط المباشر للأشياء >>[4].

وخلاصة القول فإن الذين قاموا بالعمل على تحديد مفهوم عام للرمز لم يتقيدوا بحقل معرفي بل إنهم درسوه كمعنى عام.

و كذلك الذين تناولوا الرمز محددين إياه في قالب لغوي جامد حصروه غالبا في معنى الاشارية علي ما بين الإشارة و الرمز بون واسع ، و ذلك أن الرمز إيحاء في حين لا تعدوا

---

[1] - محمد فتوح أحمد: الرمز و الرمزية في الشعر المعاصر ، ص 34.

[2] المرجع نفسه ص 34.

[3] مصطفى السعدني : البنيات الاسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث ، نشأة المعارف ، مصر ، ط 1987 ، ص 72

[4] - رجاء عيد : لغة الشعر ، قراءة في الشعر العربي المعاصر ، منشأ المعارف ، مصر 2003، ص197

الإشارة أن تكون وصفا لموضوع معلوم سلفا و قد أكد هذا المعنى " عز الدين إسماعيل " حين اعتبر << أن الرمز اللغوي اصطلاحي في الحقيقة و أنه ينفلت إلى الاشارية أكثر ما دام اللفظ " يشير" إلى ما يدل عليه ، و الرمز اللغوي نفسه رمز إصلاحي تشير فيه الكلمة إلى موضوع معين ، إشارة معينة ، إشارة مباشرة و لكن دون أن تكون هناك علاقة حيوية >>.

ب-ب المفهوم السيميائى للرمز :

تعني السميائية العلم الذي " يدرس حياة العلامات داخل الحياة الاجتماعية كما تعنى بعمليات الدلالة والتواصل وقد ظهرت في بدايات القرن 20 وهي علم تصوره رائد المعرفة اللغوية الحديثة في مطلع هذا القرن محددا إياه بالعلم الذي يعكف على دراسة أنظمة العلامات مما يفهم به البشر بعضهم عن بعض "[1].

قد تم اقتراح السميائية كعلم شامل للعلامة من قبل كل من السويسري فيرديناند دي سوسير ، والأمريكي شارل ساندرس بيرس ، على ما بين المدرستين الأوروبية و الأمريكية من اختلاف في الاديولوجية. تنقسم العلامة عند سوسير إلى دال و مدلول و العلاقة بينهما إعتباطية غير منطقية .

أما نظيره الأمريكي " شارل ساندرس بيرس" (1839-1914) و الذي قام بإرساء قواعد و أسس للعلامة اللغوية تختلف كليا عن تلك التي سارت عليها سوسير (1857-1913).

إذا كان تمثل بيرس للعلامة يتمحور علي ثلاثة أسس : الرمز و الإشارة و الأيقونة .

ورغم توسع العلامة عند بيرس إلا أنه حدد و حصر تحقق الرمز في الاتفاق و العادة.

---

[1] عبد السلام المسدي : النقد والحداثة ، دار الطليعة ، بيروت ، ط1 ، 1983 ، ص35.

ثانيا : مستوياته و أنواعه:

اختلف الباحثون في تقسيمهم لمستويات الرمز عام وخاص ، وبين جزئي و بسيط و مركب بل و في بعض الأحيان يخلطون بين المستويات و الأنواع ، ومن هنا سنلقي الضوء علي أهم أنواع الرمز ، فقد عجت دواوين المعاصرين بأنواع شتى للرمز ما بين الأسطوري والطبيعي و الديني و التراثي و الثوري و الصوفي و الديني ، هذا التنوع في أنواع الرمز يؤدي إلى تشعب منابع تشكيلية إذ يتكأ في هذا على الأساطير بأعاجيبها و الحكايات الشعبية بغرائبيتها والقصص التراثية بمغامراتها و الطبيعية بمظاهرها و لهذا سنتطرق للأهم أنواع الرمز مستشهدين لكل نوع بما يناسبه أو يلائمه من النصوص الشعرية.

1- الرمز الأسطوري :

إن أغلبية الدواوين الشعرية المعاصرة دواوين متضمنة للأسطورة الخيالية ، متخذة في ذلك أشكالا مختلفة: إما على شكل رموز و علامات دالة على شكل صور استعارية ، تعتمد على شكل إشارة بسيطة عابرة .

و هذا إن دل على شيء فإنما يدل على ضرورة فهمنا للماضي العتيد ، و الحضارات التي سادت في القديم ثم بدأت أثر عوامل معينة ، و المتعمق في عقائد الشعوب و ميولاتهم الفكرية و الدينية و أنماط حياتهم و سلوكياتهم ، سواء أكانوا عربا أو يونانا او فراعنة .

إن الشاعر يجسد من خلال هذه التضمينات – المذكورة سلفا – صورة الحاضر المعاصر ، فهي مرآة عاكسة عن بعض المتاهات التي تعيشها في حياتنا المعاصرة المشوشة .

ولعل السياب من أشهر من وظف الأسطورة في شعره عندما كان يعبر عن واقعه السياسي و الاجتماعي الأليم وجد ما يلائمه في الأسطورة فهي تلائم قصده و توافق غايته و حين استبده ثالوث الأسى : المرض و الغربة ، و الحرمان ، احتمى بالأسطورة فهي تنطق عن حاله وتواصل ما عجزت الصور العادية المستهلكة عن إيصاله فهذا بالنسبة للسياب كما لا ننسى الشعراء الآخرين و على رأسهم ، أدونيس ، وخليل حاوى ، والبياتي و محمود درويش و صلاح عبد الصبور، و غيرهم.....

يقول السياب في قصيدته " مدينة بلا مطر "

مدينتنا تؤرق ليلتها نار بلا لهب

تحم دروبها و الدور ثم تزول حماها

و يصبغها الغروب بكل ما حملته من سحب

فتوشك أن تطير شرارة ، ويهب موتاها

صحا من نومه الطيني تحت عرائش الغيب...

صحا تموز عادل بابل الخضراء يرعاها

وتوشك أن تدق طبول بابل ثم يغشاها

صغير الربيع في أبراجها و أنين مرضاها

و في غرفات عشتار

تظل مجامر الفخار خاوية بلا نار...[1]

تعد هذه القصيدة من أحسن القصائد التي تضمنت الرمز الأسطوري . فالشاعر هنا يوظف اسطورة تاريخية معروفة أسطورة تموز* و عشتار* و مستعملا صور استعارية خيالية ، فيجعلها جزءً لا يتجزأ من القصيدة ككل إذ لا يمكن التخلي عنها .

(1) ديوان بدر شاكر السياب ، ج1 ، دار العودة ، بيروت ، 1971 ، ص 488.486.

* تموز : الشهر السابع من السنة الشمسية يقع بين حزيران و آب و عدد أيامه 31 .

الأسطورة معناها ينفك رموز هابل يكفي أن تقوم بقراءة القصيدة كاملة لتسقط جوانب الرمز الأسطوري فيها على واقع العراق الأليم ورغبة الشاعر الوطني في البعث و عودة الحياة كما يعود عشتار إلى تموز رغم تعسف الآلهة.

2- الرمز الطبيعي:

لقد ظل الصراع قائما بين الإنسان و الطبيعة ، قاعدة للتطور و الازدهار في المجال العلمي حتى يومنا هذا فكان همه الوحيد أن يروضها ، و هذا ليتمتع بحسناتها و يقلل من سيئاتها لكن الطبيعة ظلت تتأبى عليه فتارة تسعده و تارة تحزنه غير أن الأمور تختلف في المجال الأدبي الفني إذ أن الشاعر يتعايش و يتفاعل مع عواصفها و رعودها و زلازلها ، فهو ابن الطبيعة و أن جزء لا يتجزأ منها و إن كان يسكنها فما يمنعه أن يأخذ منها !؟ وهكذا نجد بدور نشأة أو ولادة الرومانسية التي تتكلم بلغة الورود و تغضب بلغة الوعود

ونجد أن الشاعر إذا تعب من الجيل في وصف ما يريد أو التعبير عما هو بعيد فإنه يلجأ إلى الطبيعة و يرمز مظاهرها من نخل و تراب وبحر ورعد وليل وشوك و ورد و نجد أن الشعراء المعاصرين أنهم أكثر وأحسن استغلال للرموز الطبيعية و هذا لما في العالم المعاصرين فوضى ، و من مثل ذلك ما نجده عند الشعراء في المغرب العربي كما نجد " يوسف و غليسي " الذي يختار شجرة الصفصاف و التي مدت جذورها في تربة إبداعاته رمزا " حتى نكاد نراه إلا مستر بلا بالصفصاف ....[1]

كما يعرف عند الغريس الذين يدعون الصفصاف " شجرة الدموع" فإنها كانت تمثل دمعة الشعر و يقول يوسف و غليسي في قصيدته : حديث الريح و الصفصاف

ما كنت إلا نا سكا حسب الهوى خبلا بربه موصلا فتسلـــقا

فأذابه صفصافة بفصونـــــها عصف الزمان مغربا و مشرقا

[1] نسمة بوصلاح : تجلي الرمز في الشعر الجزائري المعاصر، إصدارات الجزائر ، 2000 ، ص 106.

و برغم إعصار الزمان بزعمه صفصافتي ستظل حلما مورقا[2].

من هذه الأبيات التي نجد أن هذه الصفصافة التي يتكلم عنها غليسي فهي ترمز للحب الصامد و لان الشاعر يؤمن بانتصار الحب و هذا تماما كإيمانه بان الصفصاف لا تطبعه العواصف فإن حبه أيضا لن يموت.

3- الرمز التراثي:

إن الشعر المعاصر قد وجد كمًّا هائلا و غنيا بالتراث فقام بالإقبال عليه و أولاه عناية كبيرة يمتاح من ينابعه السخينة أدوات يثري بها التجربة الشعرية ويمنحها شمولا وكلية و أصالة و في نفس الوقت يوفر لها أغنى الوسائل الفنية بالطاقات الإيحائية و أكثرها قدرة علي تجسيد هذه التجربة و ترجمتها و نقلها إلى الملتقى"[1].

إن الشاعر المعاصر قد أعاد قراءة الماضي وهذا ليستفيد من أخطائه ويثري تجربة الحاضر ، فعملية إبداع الماضي هي في حقيقتها إبداع لهذا الحاضر غير أن " الحقيقة القديمة لا تستمد حقيقة على لسان شاعر جديد إلا إذا كان الشاعر الجديد قد عاشها مرة ثانية في ظروف تختلف عن تلك التي كتبت فيها أصلا "[2].

فالشاعر هنا نجده أنه لا يأخذ التراث كما هو بحر .... بل إنه يستغل معطياته استغلالا فنيا ورمزيا بما يتواءم مع الحاضر الذي يحياه و من هنا فمقدرة الشعراء و قدراتهم نجدها تتفاوت.

وقد لاقى التراث العربي أصنافا من الشعراء فمنهم من أعرض عنه و أشاع بوجهه و روحه عن كل ما فيه و هناك من وقف موقف المدافع عن حياته باعتباره رمزا لازهى

---

[2] يوسف وغليسي : أوجاع صفصافة في مواسم الاعصار ، دار الابداع ، ط1 ، 1995 ، ص 62 .

[1] علي عشري زايدة : استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر، دار الفكر العربي ، القاهرة ، دط ،1997، ص73.

[2] مصطفى السعدني : البنيات الاسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث ، ص10

عصور العرب و التراث حسبهم يحتمل الايجابية و السلبية و على العاقل أن يأخذ منه ما يناسب غرضه و يلائم طرفه .

ومن الذين وظفوا التراث العربي نجد رمز السندباد حين يقول " السياب" في قصيدته << رحل النهار >> :

ها إنه انطفأت ذبالته على أفق توهج دون نار

و جلست تنتظرين عودة سندباد من الســـفار

و البحر يصرخ من ورائك بالعواطف والرعود

هو لن يعود

أو ما علمت بأنه أسرته آلهة البحار

في قلعة سوداء في جزر من الدم و المحار

هو لن يعود

فلترحلي هو لن يعود ."[1]

فقد جعل السياب في قصيدته السندباد رمزا للفشل و لغدر البحر رغم ما عرف به هذا الأخير من قهر الصعاب للوصول إلى مبتغاه و تحقيق مسعاه .

4- الرمز الديني :

يعد الدين الدستور الذي يشرع الحلال و الحرام و ينظم سير المجتمعات و حدود حرية الأفراد.

[1] ديوان شاكر السياب ج1، ص 299.

و قد كان التراث الديني في كل العصور و لدى كل الأمم مصدرا من مصادر الإلمام الشعري حيث كانوا يستمدون منه نماذج و موضوعات و صور أدبة وفنية فقد تباينت نظرة الشعراء إلى الدين الإسلامي والمسيحي ، و غيرهم من الأديان فمنهم من لجأ إلى القرآن وإلى قصصه يستوحي منها رموزا يسقطها على الحاضر مع حرصهم الشديد في تعاملهم مع هذا الموروث الديني ، وهناك من الشعراء من استوحى الرموز الدينية من الإنجيل وموضوعاته المعروفة غالبا و التي تعج بقضاياه الحب و الخيانة ، والذي يستوحي منها مادته الثرية التي تزيد قصائده تشويقا ، و هنا نجد الشاعر أطلق العنان لنفسه في تعامله مع الرموز المستوحاة من المسيحية.

و في قصيدته" قالوا لأيوب" لبدر شاكر السياب نجد توظيف للرمز الديني حيث يقول :

<< قالوا لأيوب : جفاك الإله !

فقال : لا يجفو

مـن شـدّ بالإيمان لا قبضتاه

ترخي ، و لا أجفانه تعفـــو

قالوا له : و الداء من ذا رماه

في جسمك الواهي ، ومن تبنه ؟

قال : هو التكفير عما جنـــاه

قابيل ، و الشاري سُدى جنته

سيهزم الداء : عندا أغفـــو

ثم تفيق العين من غفـــــوه

فأسحب الساق إلى خلـــــوه

اسأل فيها الله أن يعفـــــــو

عكازتي في الماء أرميهـــــا

و اطرق الباب على أهلي ...>>[1]

والرمز الديني هنا جلي يمثله أيوب عليه السلام ، رمز الصبر على البلاء ، فقد وجد السياب وسيلته للتعبير عن حالته المرضية فلم يجد ملجأ سوى الصبر على البلاء ، و احتساب الأجر عند الله مثلما فعل أيوب عليه السلام فقد كان السياب على علم بأن الله لا يبتلي من عباده إلا أحباءه و لم يتخذ السياب من أيوب عليه السلام رمزا مستقلا عنه بل إتخذه رمزا للتعبير عن ذاته المتعبة المريضة و المتألمة فالقارئ لهذه القصيدة << يشعر بأن صلة "السياب" بذلك الرمز قد بلغت حد الامتزاج الكامل >>[1]

فالشاعر إذا تمكن من التوظيف الجيد للرمز الديني لقصيدته منح لها بذلك جمالية فنية و موضوعية.

5- الرمز الثوري :

ورد في لسان العرب لابن منظور ما يلي " ثار الشيء ، ثورا و ثوورا و ثورانا وتثور : هاج (...) وثور الغضب : حدته ، و الثائر : الغضبان ، ويقال للغضبان أهيج ما يكون قد

---

[1] - ديوان بدر شاكر السياب ج1 ،ص 296، 297.

[1] - محمد فتوح احمد : الرمز و الرمزية في الشعر المعاصر ، ص 299 .

ثار ثائره ، وفار فائره ، إذا غضب ، وهاج غضبه (...) ويقال : انتظر حتى تسكن هذه الثورة و هي الهيج"[2] .

كما أن مصطلح أو لفظ الثورة في مفهومنا الاصطلاحي هي "أقصى مراحل الرفض للسلبيات".*

و إذا كان التمرد حركة لا نتيجة لها في الواقع ، و احتجاجا غامض لا ينطوي على نظام أو مذهب فالثورة محاولة لتكييف العمل وفقا لفكرة ابتغاء تشكيل العالم داخل إطار نظري "[1]

فالثورة إذن هي فعل إنساني هدفه التغيير الشامل و التطهير الكلي إنها الزلزال الذي يقلب ملامح الأرض و يهز الأعماق و يغير الخرائط و يبدل المجتمعات و الأفكار"[2].

كما يعرف ميخائيل نعيمة الثورة بأنها كل اختراع ثورة كل فكرة جديدة ثورة كل زي جديد إن في اللباس و غن في المأكل و المشرب و الم أولى و إن اللغة و الأدب و إن في الصناعة و التجارة أو في المدرسة و العبادة أو في التقاليد و النظم السائدة ثورة و هذه الثورات هي التي بها تتحد الحياة من يوم ليوم و من جيل لجيل"[3].

كما أن الثورة تعد جزء لا يتجزأ من السياسة فهي تعني أن يقوم شعب من الشعوب بحركة سياسية كانت أم عسكرية أو هما معا من أجل الثورة علي الوضع الراهن الذي يعد في نظرهم وضع سيئ وإبداله بوضع جديد أفضل منه.

---

[2] ابن منظور لسان العرب . ص 53 (مادة ، ثور)

* عبد العزيز المقالح : أزمة القصيدة الحديثة ، دار الحداثة ، دار الكلمة صنعاء ، ط1 ، 1981 ، ص 75

[1] ابراهيم رماني : أوراق في النقد الادبي ، دار الشهاب ، الجزائر ط1، 1985 ،ص 34.

[2] فاطمة بوقاسة المرجع السابق ص 03.

[3] ميخائيل نعيمة : دروب ، دار صادر ، بيروت ط05 ، سنة 1968 ن ص 24 -25.

وعليه يمكننا القول بأن رمز الثورة له علاقة مع الرموز الفنية الأخرى << إن مستويات العلاقة بين الفن و الثورة متداخلة و متشابكة فقد سبق الفن منه المسرح الثورة فيمهد لها و يحرض عليها و يسعى إلى خلقها من خلال الدعوة إلى قيامها.>>[4]

هنا يمكننا القول بأن الفن هو لسان الثورة ووسيلة هامة من وسائلها.

✓ الرمز وتقاطعه معا لمصطلحات الأخرى.

يتقاطع الرمز مع الكثير من المصطلحات و العناصر الأخرى التي يستلهم منها مادته ومن أبرز هذه العناصر نجد الأسطورة و الاستعارة و القناع.

❖ الرمز والأسطورة :

لتوضيح العلاقة الموجودة بين الرمز و الأسطورة و جب علينا أولا تعريف الأسطورة و ذكر أهم خصائصها.

أ- مفهوم الاسطورة :

تفيد الأسطورة في الغالب << الحادثة القديمة المحفوظة بالمبالغات حتى الإنحرافات أحيانا و تفيد أيضا الأقاويل المنمقة المزخرفة التي لا نظام لها حتى أنها تشبه الكلام الباطل و هي تناول مختلف النشاطات الاجتماعية من أدبية و حربية ، و صناعية ، و دينية ، و قد وردت في اللغة الفرنسية بمعنى الحادث histoire وفي اللغة الانجليزية بمعنى التاريخ historia وقد ورد تفسير آخر للأسطورة في اللاروس تحت كلمة lègende إنها خبر تاريخي أو حكاية تاريخية بالغت فيها المخيلة الشعبية أو الابتكار الشعري >> [1] .

---

[4] حسن تليلاني : الثورة الجزائرية في المسرح العربي (مسرحية ، مأساة جميلة) لعبد الرحمن الشرقاوى ص 18.

[1] حسين الحاج حسن : الأسطورة عند العرب في الجاهلية ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ، بيروت 1998 ، ص 17 .

* سورة الفرقان ، الآية 05 .

كما يمكن تعريف الأسطورة على أنها كلمة مشتقة من كلمة السطر و أساطير ، و يعنى الخط والكتابة و هذا كما جاء في المعاجم العربية ، فكلمة أسطورة إذا ليست مستحدثة في اللغة العربية بل هي معروفة منذ القدم منذ نزول القرآن الكريم .

و هذا ما دلت عليه الآية الكريمة " وقالو أساطير الأولين إكتتبها فهي تملى عليه بكرة و أصيلا " * و الأسطورة من المصطلحات الغامضة لارتباطها بجانب معين متعلق بالناحية الروحية و الفكرية للإنسان و متعلقة بفترة زمنية معينة مما جعل التفسيرات و الآراء حولها متعددة بتعدد و جهات النظر لدى الدارسين.

ب – استغلال الأسطورة في الرمز الحديث :

استغلال الأسطورة في التجربة الشعرية ليس أمرا ميسرا للجميع فقليل من الشعراء من يحسنون استغلال الأسطورة في شعرهم لأن المقصود منهما ليس هو الإتيان بحكاية قد تسرد وقد تحزن و لكن هو أن تكون الأسطورة إطار عاما يضمن للشاعر العمق الذي يريد ، ويضفى على القصيدة نوعا من الواقعية التاريخية[1].

وهناك من الشعراء من يأتي بالأسطورة أو الرمز استعراضا صغيرا مما يفقد التجربة الشعرية قيمتها. و سنعرض نموذج " السياب" .

يقول " بدر شاكر السياب" في قصيدته " مرثية الآلهة"

كقابيل يغتال الأشقاء راكـــــل كأوديب – للخبز الإلهي صانـــع

وهذا الإله الأملس الفظ ماجـــلا لنرسيس يبحثوا عنده وهو خاشـــع

سوى وجه نرسيس الرخامي شابه شحوب يهوذي التلاوين فاقـــــع

و أوفى من الارباب جيل نيمـــه علي قمة الاولمب-رب المخـــادع

ترى " فحم" إذ يلقاه راجـــــفا و "فولاذ" من تلماح عينيه مانـــع

و يا عهد كنا كابن حلاج : واحدا مع الله إن ضاع الورى فهو ضائع

[1] محمد مصياف : دراسات في النقد و الادب ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، د ط الجزائر 1988، ص 77.

أكل الرجال الجوف أن يملأ وابه خواء الحشا هذا الاله المضـــارع[2]

لقد حفلت هذه القصيدة للسياب في كل بيت منها بأسطورة أو رمز فمثلا : " قابيل" الرمز الديني قاتل أخيه أو ديب قاتل أبيه ثم " نرسيس" النرجسي الذي عشق ظله المعكوس على الماء و اليهودي الذي باع المسيح بثلاثين درهما .

كما تحدث عن جبل " الأولمب " جبل تستوطن فيه آلهة الإغريق ... و غيره . و في هذا يرى منتقدوا السياب أمثال الناقد " ناجي علوشي " و " رجاء عيد " أن هذا التوظيف للرموز و الأساطير يحول العملية الإبداعية عنده إلى مجرد انكباب على تاريخ الأساطير و النهل منه ، كما أن هذا التوظيف المبالغ فيه لدى السياب قد حول القصائد الشعرية إلى مدونات يهمش لها و يستعان بالكثير من المراجع لفك دلالاتها و مغازيها العميقة ....[1]

و نرى أن السياب في توظيفه الأسطوري حاول نسج منحى تجديدي يمتاز

و يختص به ، و بطبيعة الحال فإن أي ولادة فنية أو فكرية جديدة تلقى معارضة عنيفة خاصة في بدايتها لتلقى القبول بعد ذلك ، فرغم ما تعرض له السياب من انتقادات إلا أنه يعد من أعلام الشعر العربي المعاصر .

❖ الرمز والاستعارة

يوجد خلط كبير بين الرمز والاستعارة فأحيانا تضيق الحدود بينهما حتي يندمجا فيصعب التميز بينهما (الاستعارة و الرمز) من قبل القارئ و قبل أن نذكر أهم الفروق بينهما و جب التعرف على مهنى الاستعارة.

---

[2] ديوان بدر شاكر اللسياب،ج1 ، دار العودة ، بيروت ، 1971 ، ص 486-488 .

[1] انظر : مقدمة ديوان بدر شاكر السياب ، و رجاء عيد ، لغة الشعر ، قراءة في الشعر العربي المعاصر ، منشا المعارف ، مصر 2003 ، ص 197.

أ- مفهوم الاستعارة :

عرف الشعر مند القدم الاستعارة فقد اعتبرها أرسطو دليلا على نبوغ الشاعر أو فشله بقوله " أن تكون سيد الاستعارات الاستعارة علامة العبقرية إنها لا يمكن أن تعلم أنها لا تمنح للآخرين[1].

و الاستعارة هي تشبه مجازي يجمع فيه بين ما لا يتشابه و المشبه ، اي ظاهرة وأخرى تنسب ما لإحداهما إلى الأخرى و كأنه قائم فيها قياما فعليا لا افتراض فيه و لا تخمين"[2].

ويؤكد لهذا " ريتشاردز" أن التشبيه بالاستعارة " بما عقده من تداخل بين طرفيهما يكتسب بداخلها دلالة جديدة" [3] والاستعارة تعد كسر لغوي للفروق المنطقية والوضعية التي تفصل الأشياء .

ب- أهم الفروق بين الرمز والاستعارة

يمكن إجمال هذه الفروق كما يلي :

-**أولا :** أن هذه الاستعارة سجينة الدائرة اللغوية التي تحدد قطرها السياق داخل الجملة و تكون ثابتة إلا في حالة واحدة " " حين ينبثق يشكل جديد في حقلها الدلالي"[1] في حين أن الرمز يخترق دائرة الأداء اللغوي بتعدد قراءاته ولا نهائية لتأويله فهو لا يبقى محتفظا بدلالته الأولية.

-**ثانيا** : تعد الأسطورة مرتبطة أو أسيرة للقرينة التي تصاحبها إما صراحة أو مضمنة و مضمرة في السياق فهي محددة الدلالة و المعنى مهما تعددت القراءات.

---

[1] نقلا عن مصطفى ناصف ، الصورة الادبية ، دار الاندلس ، بيروت (د،ت) ص 183.

[2] إيليا الحاوى : الرمزية و السريالية في الشعر الغربي والعربي ، دار الثقافة ، بيروت ، دط، 1980 ،ص 135.

[3] أحمد بسام ساعي : حركة الشعر الحديث في سورية من خلال أعلامه ، ص 30.

[1] رجاء عيد : لغة الشعر ، ص 15.

-أما الرمز فهو " يعلو على القرين[2] فلا يتحدد في معنى و لا يتعين فهو حر حرية تامة داخل النص.

-**ثالثا** : أن الاستعارة تتجزأ و تتأطر في حدود جملة أدائية [3] في حين أن الرمز مطلق الحدود لتشكله في " امتداد مجازية الاداء و انفساخه على القصيدة "[4] بما يتيح له اختزانا مكثفا للدلالات المتنوعة وربما المتضادة و المتعاكسة أحيانا.

-**رابعا** : تعتمد الاستعارة في إدراكنا لها علة ملكة التخيل الذي يظهر بمجرد القراءة الأولى .

أما الرمز : يعتمد علي التصور الذهني أو ما يسمى بالحدس .

-خامسا : الاستعارة تعتمد على التراتب المنطقي للغة و لا تكسر دائرة النسق أما الرمز فهو إبتداع نظام من نظام و لغة تختزن لغة كما يمكن أن تكون اللغة التي نقرأها تخفى لغة أكبر فيها.

سادسا : الاستعارة مرتبطة بثراء ها و غناها بمعلم فردي خاص فلاستعارة بمجرد قراءتها تصبح لدى القارئ فكرة محفوظة و هو حين يلتقيها مرة أخرى لن تكسر أفق انتظاره لأنها لن تأتيه بجديد يبهره أو معنى يجهله.

في حين أن الرمز باستقلاله عن القرين الذي يفيده في السياق يملك وحدة ذاتية و قيمة من داخله و لا تضاف إليه من خارجه.

---

[2] مصطفى ناصف المرجع السابق ، ص 156.

[3] رجاء العيد ، لغة الشعر ، ص 15.

[4] المرجع نفسه ، ص 15

الفصل الثاني

I- نبذة عن حياة **الشابي**

II- تجليات الرمز في شعر **أبي القاسم الشابي**

I. حياة الشاعر " أبي القاسم الشابي:

1- مولده ونشأته: هو أبو القاسم بن أبي القاسم الشابي ولد في "الشابية" إحدى ضواحي "توزر" سنة 1909 وهي بلدة جميلة خلابة المناظر الطبيعية وبها كبر الشاعر واستوى عوده وقد نحت جمال هذه المدينة الساحرة في نفسه تمثالا من الخيال والحب، فهي كما ذكر أبو القاسم كرو:" بلاد جميلة فاتنة لما حوته من مناظر طبيعة رائعة. فهي واقعة بين بساتين البرتقال ووسط واحات واسعة من شجر النخيل، ومن حواليها عيون ذات ماء زاخر عذب، وإلى الجنوب الغربي من ذلك تمتد الصحراء ذات الرمال الذهبية الحمراء من الجنوب الشرقي فالغربي يبدو شط الجريد بمائه الهادئ العميق، فيتراءى للناظر كبحيرة حالمة بآمال الأجيال وأحداث السنين"[1]

نشأ أبو القاسم الشابي في كنف والده الشيخ محمد بن القاسم الشابي، الذي كان على قدر كبير من الأخلاق العالية والصفات العلمية والدينية الشريفة كما كان عالما فاضلا درس بالجامع الأزهري في القاهرة حيث مكث هناك سبع سنوات، ثم عاد إلى تونس ودرس بجامع الزيتونة سنين حصل بعدها على شهادة "التطويع" ثم عين قاضيا شرعيا بعد سنة من ولادة ابنه أبي القاسم، فتنقل في عدد من المدن التونسية يشتغل في السلك القضائي صحبة أسرته في كثير من الأحوال فلم ينشأ أبو القاسم الشابي في مسقط رأسه إلا قليلا، ولم يبخل الوالد ابنه أبا القاسم من الأفكار النيرة التي ساهمت إلى حد كبير في نبوغه المبكر.

وهناك نقطة مهمة كان لها أثرها الايجابي، والسلبي في حياة الشاعر. وهي تتعلق بتنقل أسرته من مكان إلى لآخر، نظرا لطبيعة عمل الوالد بالقضاء، والتي تفرض عليه عدم الاستقرار بمدينة معينة من المدن التونسية. يقول الدكتور **عمر فروخ:"** ولقد كان لهذا الطواف الذي استمر عشرين عام أثره على الشابي الصغير: إن هذا التنقل، قد حرمه من الاستقرار، كذلك عرض هذا التنقل ذلك الناشئ الصغير النحيف الجسم، المديم القامة، السريع الانفعال على جميع أنواع المناخ في القطر التونسي، من حر المدينة قابس الساحلية، إلى برد جبال تالة المرتفعة، وكذلك طبع هذا التنقل نفس الشابي الغضة، بآثار الحياة الاجتماعية المختلفة الوجوه في مناطق القطر التونسي كما غدى خياله المتوتب

[1]- أبو القاسم محمد كرو: الشابي حياته وشعره، منشورات مكتبة دار الحياة، بيروت، لبنان، ط05، 1954، ص35.

بالمشاهد الطبيعية الرائعة، وخزنت في ذاكرته الواعية، تلك الصور المتناثرة في البيئة التونسية النية في كثير من مرافقها الطبيعية، والمختلفة في عدد م نواحي حياتها الحضارية والثقافية على أن هذه كلها قد عملت على تضخم تجربته، وتدفق شاعريته فيما بعد."[1]

وجمال الطبيعة الذي ذكره الأستاذ فروخ، قد غرس الحس الجمالي لدى الشاعر فكان هذا النزوع الحاد نحوها، لكن التنقل الغير المنتظم من مناخ إلى آخر، له مخلفات غير محمودة من الناحية الصحية كذلك أنماط السلوك الاجتماعي والطبيعة التكوينية لكل منطقة من المناطق التي أقامت فيها الأسرة لاشك من أنها أي هذه الأنماط قد تركت بصماتها على شخصي الشاعر. لكن كل هذه العوامل لم تكبح من ميوله العلمي.

[1]- عمر فروخ، الشابي شاعر الحب والحياة، ط03، 1983، ص88.

2- دراسته وثقافته:

بالرغم من الظروف التي واجهها أو واجهت الشابي في حياته إلا أنها للم تكبح ميولاته العلمية فقد بدأ الشابي حياة التحصيل منذ صباه الباكر، وكان أول ما حفظ هو القرآن الكريم وهو فيسن التاسعة فقرت به عين والده.

درس الشابي أولا على يد أبيه وعنه أخذ أصول النحو وقواعد اللغة والصرف" لم بلغ الحادية عشر من عمره اطلع على شيء ليس بالقليل من الكتب الأدبية والدينية والصرفية القديمة المملوءة بها مكتبة والده، فكانت هذه المصطلحات البريئة إرهاصات لنبوغ كامل وعبقرية مبكرة".[1]

وفي سنة 1920 أرسله والده إلى العاصمة التونسية حيث تم التحاقه بكلية الزيتونة واستمر يدرس العلوم الدينية واللغوية حتى تخرج منها سنة 1928 حاملا لإجازة التطويع ثم التحق بمدرس الحقوق التونسية فتخرج منها سنة 1930، وخلال السنوات الأخيرة من دراسته بدل الشابي نشاطا أدبيا واجتماعيا كبيرا فقاد " حركة طلاب الزيتونة التي تهدف إلى أصلاح التعليم والإدارة الكلية وترأس لجنتهم وقاد الإضرابات، ويعود له الفضل الكبير في تأسيس جمعية الشباب المسلمين"[2] كما ساهم في تأسيس النادي الأدبي بتونس العاصمة ونادي الطلاب بتوزر.

ومن العوامل الفعالة التي ساهمت في تنمية تجربته الشعرية ونبوغه الفكري لكثرة قراءته للآداب الأخرى وخاصة الغربة منها، فقد قرأ جميع ما وقعت عليه عيناه من روائعه المترجمة وذلك لجهله اللغات الأخرى فلم يكن يتقن لغة أخرى غير العربية، وكان يعجب بالشعراء الغربيين وأشد إعجابه كان "بجوته" الألماني و"لامرتين" الفرنسي، ولكن شغفه الأكبر كان بالأدب المهجري خاصة أدب جبران خليل جبران إذ كان له تأثير على الشابي، فقد كانت كتابات جبران الداعية إلى التمرد على أوضاع المجتمع العربي تترك أثرها الأكبر في نفسية الشابي، وزاد هذا التأثير عندما امتدت ثورة جبران إلى الأدب لما دعا إلى التجديد وكسر قيود التقاليد القديمة، يقول رجاء النقاش في هذا الصدد:" لقد اشتغل جبران بكتابه

[1]- إليا الحاوي: أبو القاسم الشابي شاعر الحياة والموت، دار الكتاب اللبناني،ج07، دط، 1984، ص06.
[2]- أبو القاسم محمد كرو، الشابي حياته وشعره، ص34.

أكثر من معنى رئيسي في عقل الشابي نفسه، فقد كان جبران ثائرا متمردا على وضع المجتمع وكان يكتب من بعيد كتابة حارة لينادي أبناء الشرق العربي ويطالبهم بالخروج من قيود التقاليد القديمة، ومن استعباد أرواحهم للماضي وتجاوب الشابي مع هذه الدعوة الجبرانية تجاوبا قويا."[1]

وإلى جانب جبران فقد أعجب الشابي أيضا بميخائيل نعيمة واليا أبو ماضي، وليس من المستغرب أبدا أن يكون الشابي أشعر من الذين قلدهم، إن أبا القاسم محمد كرو يقولفي كتابه الشابي:" غير أن الشابي كان أعمق من جبران وأصدق تصويرا... وهو يمتاز{ عن أدباء المهجر} بدقة بالغة في تعبيره وبراعة فائقة في تصويره."[2]

كما اتصل الشابي بجماعة أبولو، ونشر أجود شعره في مجلتهوكانت بينه وبين أبو شادي وناجي رسائل جريئة في النقد الأدبي وبالرغم من الظروف الصعبة التي عاشها الشابي إلا أنه استطاع اثبات كفاءته فتجرم شعره إل الفرنسية والايطالية والانجليزية.

[1]- رجاء النقاش: أبو القاسم الشابي، شاعر الحب والثورة، دار القلم، بيروت، لبنان، ط01، 1971، ص175.
[2]- أبو القاسم محمد كرو: الشابي حياته وشعره، ص26.

3- شخصيته:

لقد ساهمت عوامل عدة في تكوين شخصية الشابي وكان لها أثر واضح في نفسيته ثم في اتجاهه الفكري ثم في شعره، فأبو القاسم الشابي واجه الحياة بأحداثها المريرة، أولا بموت والده الذي كان يكفيه مسؤولية الحياة فإذا بهم سؤول عن أهله وعن أسرة والده، كما يقول أبو القاسم كرو "تغيرت حياته تغيرا تاما وأحدث ذلك في نفسه صدمة عنيفة هائلة طفحت بها قصائده في ألم حاد ويأس مر."[1]

" ولم يقف الأمر عند هذا بل أصيب بداء تضخم القلب الذي عانى منه أشد أنواع المرارة وأقسى صنوف العذاب."[2]

فقد كان مرضه سبب نشأته نشأة ضغط أعباء الحياة وتكاليفها عليه، فحرمه كثيرا من الحرية التي كان يجب أن يتمتع بها كما أنه من الصدمات التي تعرض إليها الشابي أنه قد أحب حبا عنيفا، عذريا وصريحا ولعل الحادثة التي أثرت على حياته العاطفية من هذه الناحية أكثر، وفاة الفتاة الصغيرة التي تعلق بها، وكان موتها سبب في مرضه يقول الدكتور عمر فروخ "وظل الشابي يذكر حبه مدة، ثم جعل ينساه، أو يحمل نفسه على نسيانه، وسرعان ما أطاعته نفسه فتناسى حبه الأول، وانتقل إلى حب آخر فآخر، ويجهر لنا الشابي في ديوانه، بمواقف من الحب، توحي بأنه قد اندفع مع عاطفته وراء المرأة لا يلوي على شيء ولا ريب في أن هذا الاندفاع كان سببا من الأسباب التي قربت منيته إليه."[3]

بالإضافة إلى ما خلفه الاستعمار الفرنسي من تخلف ثقافي وبؤس اجتماعي وضغط سياسي.

كل هذه الخيوط اجتمعت لتنسج ألما كبيرا له حجمه في حياة الشاعر.

وقد قال محمد الأمين شقيق الشابي في وصفه شقيقه " نحيف الجسم، مديد القامة قوي البديهة سريع الانفعال، حاد الذهن، تكفكف رقة طبعه عن غرب عاطفته وحدة ذهنه، يراه أصدقاءه، بشوشا، كريما، وديعا، متأنقا، طروبا بمجالس الأدب، يحب الفكاهة الأدبية، ويراه من يخالطه محتشما، ويعرف منه هؤلاء وألئك صراحة حازمة قوية يبديها خالصة خلطائه في

[1]- أنور الجندي: الشعر العربي المعاصر تطوره وأعلامه (1875-1940)، ص486.
[2]- المرجع نفسه، ص486.
[3]- عمر فروخ، الشابي، شاعر الحب والحياة، ص95.

غير ما تخرج متى اجتمع بهم، ويجاهر بها العموم في شعره ونثره، وكان محبا لبلاده صادق الوطنية يؤمن بأن لقادة الفكر رسالة إنسانية سليمة حاول جهده أن يحققها في أثناء حياته القصيرة قولا وعملا."[1]

"والشابي شاعر صادق الإيمان برسالة الشاعر: آمن بمبادئ تحرير الشعر من التقليد فلم يمدح أميرا ولم يرث رب السرير حتى والده لم يرثه."[2]

كان الشابي في شعره الوطني قوي الإيمان بالحرية جريء في إعلان صيحة التحرر مؤمنا بالشعب وبالأرض وقد ارتبطت دعوته إلى الحرية بالدعوة إلى الإصلاح الاجتماعي ومحاولة الخروج ببلاده من قيود الجمود والرجعية التي استغلها المستعمر كما نجده في قصيدته إرادة الحياة:

إذا الشعب يوما أراد الحياة فلابد أن يستجيب القدر

[1]- حنا الفاخوري: الجامع في تاريخ الأدب العربي، الأدب الحديث، ص556.
[2]- أنور الجندي: الشعر العربي المعاصر تطوره وأعلامه، ص490.

4- آثاره الثقافية والأدبية:

أشهر ما عرف الشابي اثنان: الأول ديوانه الشعري "أغاني الحياة" والثاني كتابه النثري "الخيال الشعري عند العرب" وإلى الأول استند معظم الذين درسوا شعره وتحدثوا عن مواهبه وعبقريته، وهناك آثار أخرى لتزال مخطوطة.

أ- ديوانه أغاني الحياة:

يقع في مائتين وخمسة وثمانين صفحة كبيرة، طبع للمرة الأولى سنة 1955 ثم قامت الدار التونسية للنشر فطبعته ثانية سنة 1966، وأضافت إليه تسع قصائد في هذا الديوان مرتبة بحسب تاريخ نظم الشاعر لها وحسب تقييدات ... بخط أبي القاسم أسفل القصائد في مسودته.[1]

ب- الخيال الشعري عند العرب:

محاضرة ألقاها الشاعر باسم النادي الأدبي في قاعدة الخلدونية ثم نشرها سنة 1929 في كتيب صغير وهو دراسة نقدية يقارن فيها الشابي بين الخيال الشعري عند العرب وعند الغرب، يحتوي هذا الكتاب على كلمة للمؤلف ومقدمة للناشر وسبعة فصول أوضح فيها أهم أرائه وأفكاره.

ج- رسائل الشابي: وهي مجموعة من الرسائل توجه بها أبو القاسم الشابي لعدد من أصدقائه: البشروش، الحليوي أبو شادي، ابراهيم ناجي، وعلي الناصر... وقد ذكرها بالتفصيل الأستاذ محمد الحليوي في ختام كتابه "مع الشابي".[2]

"وهي تحتوي على أراء جزئية وقيمة في الأدب العربي" [3]

[1]- حنا الفاخوري: الجامع في تاريخ الأدب العربي، ص557.
[2]- عبد اللطيف شرارة: الشابي، دراسة تحليلية، دار صادر بيروت، دط، دت، ص52.
[3]- عبد المجيد الحر: أبو القاسم الشابي، دار الفكر العربي، ط1، 1994، ص65.

هـ - شعراء المغرب:

وهي دراسة تناول فيها بالنقد والتحليل طائفة من شعراء المغرب الأقصى لمعاصرين بالترجمة والتعريف، وهي محاضرة ألقاها من كتاب "الأدب العربي في المغرب الأقصى للأستاذ محمد بن العباس"[1]

إضافة إلى أعمال أخرى "كقصة الهجرة النبوية" وقد تناولها في محاضرة ألقاها بنادي الطلاب بتوزر بمناسبة الهجرة النبوية لعام 1951م.

وكذا مسرحية "السكير" في فصلين، و"جميل بثينة" وهي محاضرة تناولها عن قصة الشاعر جميل بثينة، بالإضافة إلى مجموعة كبيرة من المقالات والدراسات المختلفة تناول فيها شؤون الأدب العربي قديمة وحديثة على السواء.

وهذا الإنتاج يعتبر ضخما إذا قيس بالأعوام القليلة التي أتيحت لهذا العبقري أن يحياها، وكان من شأن هذا الإنتاج أن قق بنوده الشابي رغم مرضه حيث قال:

سأعيش رغم الداء والأعـــــداء كالنسر فوق القمة الشماء

أرنو إلى الشمس المضيئة هازما بالحب والأمطار والأنوار

[1]- الطاهر الهمامي: كيف نعتبر الشابي مجددا؟ دراسة عرضية، تونس، 1985، ص198.

5- وفاته:

أما وفاة هذا الشاعر المتميز فقد كانت بسبب إصابته بداء تضخم القلب وهو في الثانية والعشرين من عمره، واشتد به الداء وألزمه الفراش فنقل إلى المستشفى الايطالي بالعاصمة حيث فارق الحياة في التاسع من شهر أكتوبر سنة 1934 ونقل جثمانه إلى مسقط رأسه ودفن بالشابية.[1]

هذه الحياة القصير العريضة (1909-1934) التي كأنما كان صاحبها يحس بقرب نهايتها فسارع إلى إبداع عمل ضخم محاولا بذلك أن يمد فيها بعد نهايتها، ولطالما كان العمل الأدبي امتدادا لحياة العبقري، فقد كانت حياة أبي القاسم الفكرية لم تتجاوز ستة أعوام امتدادا عميقا في ميدان الشعر ما تزال حتى يومنا هذا.

[1]- حنا الفاخوري: الجامع في تاريخ الأدب العربي، ص555.

II. توظيف الرمز الشعري عند الشابي:

لقد عمد الشابي إلى الرمز الشعري لأنه وجد في استخدامه الكشف عن عمق التجربة وفعالية الموقف.

وقد استعمل عدة رموز في قصائده منها: كالرموز الطبيعية، الرموز اللغوية والأسطورية.

1- الرموز الطبيعية:

يعد الشابي شاعر رومانسي لذلك نجد أن الطبيعة تحتل في شعره مكانة هامة بارزة، إنها الأم الحانية والملجأ الأول والأخير ... وقد كان الشابي في حاجة إلى أم تحنو عليه أو ملجأ يأويه وذلك أنه كان على خلاف حاد مع الحياة الواقعية، وكان يعيش في خصومة عميقة مع المجتمع، وكان طموحا إلى حياة أكثر حرارة ويقظة بين جميع أبناء شعبه.[1]

وفي قصيدة الشابي المشهورة "النبي المجهول" يتحدث عن أزمته مع شعبه حيث لا يفهمه الشعب ولا يستجيب لأفكاره وآرائه التي تهدف إل تحريره المعنوي والمادي.

وعندما تصل به الأزمة إلى أعل درجاتها، لا يجد ملجأ سواء الطبيعة ومناظرها المختلفة كما يقول في قصيدته "النبي المجهول":

إني ذاهب إلى الغاب يا شعبي لأفضي الحياة وحدي بيأس[2]

وعندما تنتهي حياته ويموت، فهو يفضل الموت في الغاب، فبما فيه من طيور وأشجار أحسن عليه من الناس.

ثم تحت الصنوبر الناخر الحلو تخط السيول حفرة رمسي

وتظل الطيور تلغو على قبري ويشدو النسيم فوقي بهمس

وتظل الفصول تمشي حوالي كما كنا في غارة أمسي[1]

[1]- رجاء النقاش: أبو القاسم الشابي، شاعر الحب والثورة، ص48.

[2]- ديوان أبي القاسم الشابي ورسائله تقديم وشرح راجي الأسمر، مؤسسة المعارف، بيروت، لبنان، 1426ه-2005م، ص117.

فالشابي يجد خلاصه الروحي في الطبيعة، ويستمد صوره الفنية من الطبيعة، قبل أن يستمد من أي شيء آخر، والطبيعة عند الشابي خير مطلق وجمال مطلق وكأنه بهذا الإحساس نحو الطبيعة يجعل منها عالمه "المثالي" "الكامل الذي يعوضه" عن عالم الواقع الناقص المليء بالشر والحزن.[2]

وهكذا كل المعاني التي فقدها في الحياة مع الناس، وجدها في الطبيعة: الصداقة والفهم الحب والجمال، إن الطبيعة في عالمه الذي يرد به على نقص الحياة الاجتماعية وقصورها عن الوصول إلى الكمال، على أن أهم ظاهرة في شعره الطبيعة هي انه أعطى للطبيعة "معنا إنسانيا" وهذه الظاهرة لا ينفرد بها الشابي، فهي تتكرر كثيرا عند كبار الشعراء الذين عبروا عن الطبيعة أو صوروها في شعرهم.

وقد كان الشابي واحدا من هؤلاء فلم يكن يحب الطبيعة المجردة، ولم يكن يحب منها جمالا خاصا مستقلا عن الإنسان، بل إن كل جمال، جمال الطبيعة، إنما يستمد وجوده من "معنى إنساني"[3]

وفي قصيدة "قلب الأم" عندما يموت الطفل تموت روحه في كل مظاهر الطبيعة وتنظر الأم المحزونة هنا وهناك، فترى صورة ابنها وروحه، ترى كل هذا لأن ابنها لم يدفن في قبر بل انساب في الأزهار والأشجار وأصوات الطيور.

ويراك في صور الطبيعة: حلوها، وذميمـها

وحزينها وبهيجها، وحقيرها وعظيمـها

في رقة الفجر الوديع، وفي الليالي الحالمـة

في فتنة الشفق البديع، وفي النجوم الباسمـة

في رقص أمواج البحيرة تحت أضواء النجوم

في سحر أزهار الرّبيع، وفي تهاويل الغيوم...[1]

---

[1]- المصدر نفسه: ص118.

[2]- رجاء النقاش: أبو القاسم الشابي، شاعر الحب والثورة، ص49.

[3]- المصدر نفسه: ص50.

وهكذا تحمل الطبيعة معنا إنسانيا في ارتباطها بعاطفة الأم هذه الأخيرة التي تصبح ثابتة وخالدة شأنها في ذلك شأن المظاهر الطبيعية نفسها، وفي قصيدة "إرادة الحياة" ينادي الشاعر الشعب ويدعوه إلى اليقظة والثورة ثم يجعل الطبيعة تحمل خصوصية الإنسان في الحديث ونقل أفكاره فيقول:

ودمدمت الريح بين الفجـاج وفوق الجبال تحت الشجر

"إذا ما طمحت إلى غايـــة ركبت المعنى ونسيت الحزر"

ولم أجنب وعور الشعـــاب ولا كبت اللهب المستعر

"ومن لم يحب صعود الجبال يعيش ابد الدهر بين الحفر"[2]

فالريح رمز الثورة وهي تحدد للناس الطريق الذي هو طريق الخطر ونسيان الحذر، وخوض اللهب ليتحرر المجتمع من جذبه ويصبح مجتمعا مليئا بمظاهر الحياة مثل الأرض في الربيع.

وفي قصيدته "مناجاة عصفور" يعمد الشاعر إلى شيء من تشخيص الطبيعة ف صورة هذا العصفور الشادي فيضفي عليه أحاسيسه ومشاعره فيقول:

يا أيها الشادي المفرد ها هنا ثملا بغبطة قلبه المسرور

متنقلا بين الخمائل تاليـــا وحي الربيع الساحر المسحور

غرد ففي تلك السهول زنابـق ترنو إليك بناظر منظـور

غرد ففي قلبي إليك مـــودة لكن مودة طائر مكسور

هجرته أسراب الحمائم، وانب رت لعذابه جنيه الديجـور[3]

فالعصفور الشادي في هذه الأبيات هو النموذج الآخر الذي يطمح إليه هو الحياة الحرة الكريمة التي يرغب فيها كذلك، والعلاقة بين الشاعر وأعماقه من جهة وبين مجتمعه،

---

[1]- ديوان أبي القاسم الشابي ورسائله، ص142-143.

[2]- المصدر اسابق، ص85.

[3]- المصدر السابق، ص99-100.

وتقاليده وقيمه من جهة أخرى، وقد اتسمت بشيء من التناقض واتصفت بالتوتر وبلغت حد الغضب والتمرد، فإذا بالشاعر يعيش بإحساس الطائر المكسور الذي سدت أبواب آماله، لكن هذا الواقع الذي استبد بالشاعر وعصف به جعله يبحث عن ذلك (المثال) في صورة العصفور الشادي المغرد وهذه الصورة الرمزية كشفت لنا عن شخصيته داخل شخصية لدى الشعر الثائر المكسور وهو الواقع الذي آل إليه والمثال الذي يجد في ذلك العصفور الشادي المتنقل بين الخمائل والسهول وتلك العلاقة المتوترة القائمة بين الشاعر ومجتمعه، تدفعه إلى الثورة والانفعال فيلجأ إلى صورة رمزية أخرى، تنبئ بحالة القداسة والعظمة التي يجدها في إحساسه وأفكاره، وحينئذ يجمع بين الحياة، الطبيعة العصفور، وبين قداسة أفكاره ومشاعره لينسج لنفسه حياة قدسية حالمة.

وإذا دخلت إلى البلاد فإن أف كاري ترفرف في سفوح الطّور

حيث الطبيعة حلوة فتانـــــة تختال بين تبرّج وسفـــــور

ماذا أود من المدينة، وهي غا رقة بمّوار الدم المهـــــدور؟[1]

ومن هنا تلتقي الصورتان الرمزيتان لتحكيا قصة الشاعر وواقعه النفسي الدفين من خلال الصور: الشادي المغرد، والطائر المكسور، والطور حيث اجتمعت هذه الصور كلها لتضيء ما غمض من عوالم نفسية مجهولة قارة في أعماق الشاعر، ونجد أبا القاسم الشابي يتخذ من "الغاب" رمز للحياة الطاهرة النقية فيقول في قصيدته المعنونة ب "النبي المجهول":

هكذا يصرف الحياة، ويفنـــــي حلقات السنين: حرسا بحرس

يا لها من معيشة في صميم الغاب تضحي بين الطيور وتمسي!

يا لها من معيشة، لم تدّنسهـــا نفوس الورى بخبث ورجس

يا لها من معيشة، هي في الكون حياة غريبة، ذات قدس[2]

إن هذه الحياة التي يصورها الشاعر لا توجد فيها متناقضات الواقع من خبث ونفاق ورياء:

[1]- ديوان أبي القاسم الشابي ورسائله، ص101.
[2]- المصدر نفسه، ص120.

إن في الغاب أزاهيرا، وأعشابا عذاب

ينشد النّحل حواليها، أهازيجا طراب

لم تدّنس عطرها الطّاهر أنفاس الذّئاب

لا، ولا طاف بها الثّعلب في بعض الصّحاب[1]!

والشاعر في هذا المقطع استدعى أكثر من رمز لتوضيح الصورة وتعميق الفكرة في ذهن المتلقي، فإلى جانب رمز "الغاب" هناك رمز "الذئاب" ويقصد به الشاعر بعض الأنماط البشرية القليلة، ورمز "الثعلب" ويعني به مظاهر المكر والخداع التي شاعت في المجتمع، كل هذه الرموز تضافرت فيما بينها، ورسمت اللوحة المثالية لحياة الغاب وكثفت في الوقت نفسه، سلبيات الواقع ومساوئه ولم تكن "الغاب" رمز للفضيلة والطهر فحسب بل كانت كذلك رمز للحب والخير ولعالم المثال والخلود.[2]

بيت، بنته لي الحياة من الشّذى والظّل، والأضواء، والأنغام

بيت، من السحر الجميل، مشّيد للحب، والأحلام، والإلهام

في الغاب، سحر، رائع متجــدّد باق على الأيام والأعــوام

وشذى كأجنحة الملائك، غامض ساه يرفرف في سكون سام[3]

وهكذا غدت الصورة الرمزية في هذا المجال، وسيلة فنية، عكست لصدى النفسي للشاعر، ومحاولاته في تشييد عالم مثالي يتجرد فيه الإنسان من كل تقاليد المجتمع وقيوده، ورغبته في تحويل واقع هش في صور طبيعية جميلة رمز إليها بالناي.[4]

ومن ذلك رمز الناي الذي تكرر كثيرا في قصائد أبي القاسم الشابي منها قصيدته "أكثرت يا قلبي فماذا تروم" التي يقول فيها:

[1]-المصدر السابق، ص114-115.
[2]- عزيز لعكاشي: مظاهر الإبداع الفني عند الشابي، ص131.
[3]- ديوان أبي القاسم الشابي ورسائله، ص178.
[4]- عزيز لعكاشي: مظاهر الابداع الفني عند الشابي، 132.

يا قلبي الدامي إلام الوجوم؟

يكفيك! إن الحزن فظ غشوم

هذي كؤوسي مرة، كالردى

ما ملؤها إلا عصير الهموم

وذاك نايي صامت واجـــم

يضفي إلى صوت العرام القديم[1]

فالناي كما نعلم هو الآلة الموسيقية المعروفة، ومساق هذه اللفظة في التعبير الشعري، يوحي بمشاعر الحزن والأسى لأن "الناي" بطبيعته لا يخرج في الغالب إلا أنغاما شجية، لكن الشاعر هنا لم يستخدم لفظة "الناي" لمجرد الأسى والحزن، وإنما جعلها وسيلة للتعبير عن حالته النفسية والوجدانية، وما تشي به من ملامح الرغبة في الانطلاق والتحرر، وحينئذ يصبح "الناي" رمز لمعاني الغربة ومنار للحرية والانبعاث ويتضح ذلك أكثره عندما يسائل الشاعر الناي نايه، ويطلب منه الكف عن ألانه الشجية وعن بكائياته الدامية ليرقص مع النور الضحوك، ويشدو مع أنغامه الطبيعية وهي في أسحارها الحالمة.[2]

أما ترى البلبل فـي غابـه

يشدو فوق الغاب تخطو النجوم

أما ترى الأسحار تبدو بها الغابات

كالأحلام خلف السديـــم

أما ترى الأحلام في سحـرها

أما ترى الليل يناغي النّجـوم؟[3]

[1]- ديوان أبي القاسم الشابي ورسائله، ص152.
[2]- عزيز لعكايشي، مظاهر الإبداع الفني عند الشابي، ص124.
[3]- أبو القاسم الشابي ورسائله قصيدة، ص153.

إنه إحساس قوي بالحرية وتجسيم حي لرغبة الشاعر في حياة حرة سعيدة، ولده الرمز في صورة شعرية نامية، وبذلك يلتقي "الناي" يسير في اتجاه نفسه، مضيفا لصوره أبعادا جديدة ومثيرا لمشاعر إنسانية ووجدانية أخرى كالحب، والجمال، والصفاء والإخلاص فيقول:

قدم اليأس والكآبة داست قلبـي قلبي المتعب، الغريب، الواهي
فتشظّى، وتلك بعض شظايـــا هـ...، فسامح قنوطه المتناهي
فهو يا ربّ معبد الحق، والإيـــ مان والنور والنقاء الإلهـــــي
وهو ناي الجمال، والحب، والأحـ ـلام، لكن قد حطّمته الّلواهي[1]

فالناي هنا رمز لمعاني الجمال والحب التي ينشدها الشاعر لقلبه الذي حطمته الخطوب، وهو شعور بالتمزق والضياع، وهنا يرتبط الرمز بالشاعر حينما شكل من "الناي" عالمين: عالم مادي يبثه من محنته الكونية المتمثلة في سقوطه وضياعه، حتى أصبح أوراقا ذابلة وشبابا متلاشيا، بين هول الظلام وكآبة الوجود القاتلة وبين عالم روحي شفاف يطمح إليه الشاعر.

يا صميم الحياة! قد وجم الناي وغام الفض فأين بروقـــــك؟
يا صميم الحياة! أين أغانيـك فتحت النجوم يصغي مشوقك

* * * *

كنت في فجرك، الموشح بالأح لام، عطرا، يرف فـوق ورودك
حالما، ينهل الضياء، و يصغي لك، في نشوة بوحي نشيـــدك
ثم جاء الدجى...فأمسيت أورا قا بدادا، من ذابلات الـــورود
وضبابا من الشذى ، يتلاشـى بين هول الدجى وصمت الوجود
كنت في فجرك المغلق بالسحر، فضاء من النشيد الهـــــادي[2]

[1]- أبو القاسم الشابي ورسائله، ص 210-211.
[2]- المصدر السابق، ص 137-138.

في هذه القصيدة رمزان "الناي" وهو رمز سقوط الشاعر ومحنته "العطر" وهو رمز للحياة المثلى وللعالم الروحاني، وكلا الرمزين يجسدان حالة الشاعر وبؤسه وقد نجد "الناي " يعطي معنى الحيرة والقلق، ففي قصيدته "في ظل وادي الموت" يقف الشاعر موزع النفس شارد الذهن مثير القضايا فلسفية ميتافيزيقية حول مصير الإنسان وقيمته في هذه الحياة فيقول:

نحن نمشي وحولنا هته الأكـ وان تمشي لكن لأية غاية؟

نحن نشدو مع العصافير للشم س، وهذا الربيع ينفخ نايه

نحن نتلو رواية الكون للمـــو ت ولكن ماذا ختام الرواية[1]

في هذه الصورة الفلسفية التأملية التي حملها رمز "الناي" مغزى عميق يحثنا الشاعر عن طريق رمزه، عن واقعه الشعوري الذي يرتبط بتلك التساؤلات التي كان الفلاسفة يثيرونها، التي جسدت حيرة الشاعر ودهشته، إن هذا التعامل الفني مع الرمز، يضفي على الصورة كلها معان شعورية تسهم في نمو التجربة وتعميقها كما يحقق نوعا من التلاحم النفسي بين الشابي ورموزه وهذا ما يجعلنا نستطيع فهم الكثير من الأسرار النفسية البعيدة التي يرمي لها ،داخل هذا الإطار الشعري وهو ما يفسر قدرة الشاعر في تكوين رموزه حسب رؤاه وتجاربه.[2]

وفي قصيدته المعنونة ب "صلوات في هيكل الحب" نجد فيها حس رومانسي حاد لدى الشابي يقول فيها:

عذبة أنت كالطفولة، كالأحـــلام كاللحن، كالصباح الجديـد

كالسماء الضحوك كالليلة القمراء كالورد كابتسام الوليـــد

يا لها من وداعة وجمـــــــال وشباب منعم أملـــــود!

يا لها من طهارة ، تبعث التقديـ س في مهجة الشقي العنيد! ...

[1]- المصدر نفسه، ص212.

[2]- عزيز لعكايشي: مظاهر الإبداع الفني عند الشابي، ص130.

يا لها من رقة، تكاد يرف الور د منها في الصخرة الجلمود!

أي شيء تراك؟هل أنت" فينبـ ـس" تهادت بين الورى من جديد

لنعيد الشباب و الفرح المعـ ـسول للعالم التعيس العميد !

أم ملاك الفردوس جاء إلى الأر ض ليحيي روح السلام العهيد

أنت ...ما انت؟ أنت رسم جميل عبقري من فن هذا الوجود

فيك ما فيه من غموض وعمق وجمال مقدس معبود

أنت... ما أنت؟ أنت فجر من السحـ ـر تجلى لقلبي المعبود

فأراه الحياة في مونق الحسـ ـن و جلى له خفايا الخلود

أنت روح الربيع، تختال في الدنـ ـيا فتهتز رائعات الورود

وتهب الحياة سكرى من العطـ ـر، ويدوي الوجود بالتغريد

كلما أبصرتك عيناي تمشيـ ـن بخطو موقع كالنشيد

خفق القلب للحياة، ورف الـ ـهر في حقل عمري المجرود[1]

فالصورة الرمزية في هذه القصيدة تتداخل بين حلم رومانسي و كثيرا ما نجد مثله عند الرومانسيين عامة حين يهرب بعضهم إلى الطبيعة ليتخذ منها الملجأ و الملاذ ليعبر عن ما يجول بخاطره من عذابات الواقع أما البعض منهم فيتخذ من المرأة ملجأه النفسي .

ويضاف إلى هذا الحس الرومانسي الحاد الذي نطالعه في القصيدة و الذي يضم القاموس اللغوي الرومانسي المنجح حيث نرى محبوبته تجمع بين الطفولة و ابتسام الوليد أي البراءة الرومانسية التي يفتقدها الشاعر الرومانسي كما نجد من الصفحات أيضا ما يجعل المحبوبة ليست امرأة مادية محددة بل إن تلك المحبوبة مرة جعلها "رسم عبقري جميل" و مرة هي روح الربيع" و مرة هي "فوق الخيال" و مرة " فوق النهى و فوق الحدود". أي أن تلك المحبوبة من الجائز أن تكون رمزا لا شعوريا لا حسان رومانسي أمام جهامة المواصفات

[1]- ديوان أبي القاسم الشابي ورسائله، ص72.

المكرورة و ما تفرزه الوضعية الاجتماعية لبلاده و تفسخ الشعور بالإحباط فكأن تلك المحبوبة صورة واهمة يبحث عنها الشاعر[1] .

و من مميزات شعر أبي قاسم الشابي تنزيل المعاني السامية لمستوى الجيل و تبسيط شعوره الرفيع لمختلف الطبقات يعبر عن المعاني الحضرية الرقيقة و المدارك الإنسانية السامية برموز يشكلها من صلب الطبيعة من عنف أو إغراء و بما في الطبيعة الذائبة من وحشية أو حنين فاستعمله يصور أطراء النواميس و يصور عنف الطبيعة[2]

في سكون الليل لمـــــا عانق الكون الخشوع

... رتل الرعد نشـــــيدا رددته الكائنـــــات

مثل صوت الحق إن صا ح بأعماق الحيـــاة

يتهادى بضجـــــــيج فـي خلايا الأوديـة[3]

و في قصيدته "أيها الليل" يصور لنا الشابي محنته فيقول:

أيها الليل! يا أبا البؤس و الهو ل، هيكل الحياة الرهيـــــــب !

أنت يا ليل ! ذرة صعدت لل كون، من موطئ الجحيم الغضوب

يا ظلام الحياة ! يا روعة الحز ن ! ويا معزف التعيس الغـــريب

فيك تنمو زنابق الحلم العـــذ ب، وتدوي لدى لهيب الخطـــوب

و بفوديك، في ضفائـــــــرك السود، تدب الأيام أي دبـــــيب[4]

فالليل في هذه الأبيات رمز البؤس والهول والعذاب وأي عذاب إنه عذاب المريض الذي تغلق عليه دائرة حياته ولا تنفتح إلا للألم والوجع الذي يعيشه.

[1]- رجاء عيد: لغة الشعر، قراءة في الشعر العربي المعاصر، منشأة المعارف بالإسكندرية، مصر، ص238-239.

[2]- زين العابدين السنوسي: أبو القاسم الشابي، حياته وشعره، الدار التونسية للنشر، تونس، 1980، ص 72.

[3]- ديوان أبي القاسم الشابي ورسائله، ص123.

[4]- المصدر السابق، ص36-37.

2- الرموز الأسطورية:

تعد الأسطورة عند الشابي وسيلة من وسائل الإيحاء الشعري حيث يقول في ذلك "بل ربما أغلو في كثير ولا قليل إن قلت أنها أقوى دلالة من الشعر"

وتوظيف الأسطورة في شعر الشابي قليل لكنه موجود وقد ساعد هذا الفن على تعميق مضمون العطاء الفني في نفس المتلقي ومن ذلك قوله الشعري

يا قلب! كم فيك من دنيا محجبـــــــة كأنها، حين يبدو فجرها "إرم"*

يا قلب! كم فيك من كون، قد اتقــدت فيه الشموس وعاشت فوقه الأمم

يا قلب! كم فيك من أفق تنمقـــــــه كواكب تتجلى، ثم تنعـــــــدم

يا قلب! كم فيك من غاب ومن جبـــل تدوي به الريح أو تسمو به القمم

يا قلب! كم فيك من كهف قد انحبست منه الجداول تجري ما لها لجـــم

تمشي...،فتحمل غصنا مزهرا نضـــرا أو وردة لم تشوه حسنها قـــــدم[1]

استعمل الشابي في هذه الأبيات رمز الأمل كما تحدث عن المدينة المجهولة وهذا ما يوافق حالته النفسية والشعورية المتأججة بالعواطف في أسطورة "إرم" حيث وجد فيها الشاعر استمرارا في الحياة والأمل والتطلع المستمر إلى المستقبل الزاهر، وهذا التطلع المتزايد لدى الشاعر يعتبر صورة من صور المقاومة النفسية الدفينة بين الإحساس النابض بالحياة والخلود وبين الواقع المرير الذي يعيشه الشاعر.

ثم يختم الشاعر قصيدته "الأبد الصغير" بهذين البيتين الشعريين فيقول فيهما:

تبلو الحياة فتبليها وتخلعها وتستجد حياة ما لها قـــــدم

وأنت أنت: شباب خالد، نضر مثل الطبيعة: لا شيب ولا هرم[1]

[1]- ديوان أبي القاسم الشابي ورسائله، ص127-128.

* أنس داود: الأسطورة في الشعر العربي الحديث ، دار الجيل للطباعة، القاهرة، د ط، دت، ص20.

إرم: مدينة أسطورية يقال أنها بنيت على ضفة الجنة، أرضها من مسك وقصورها من خالص الذهب، اللؤلؤ، وأنها لازالت إلى يومنا هذا في صحراء العرب ولكنها محدودة لا يراها أحد ويقال: أن شداد بن عاد هو الذي بناها حينما أهلك الله قوم "عاد" اختفت إرم وظلت تطوف وهي مستورة.

ومن هنا نجد أن الشاعر استطاع منح أسطورة "إرم" تشخيصا فنيا وتواصلا نفسيا جسدت رحلته إلى مرفأ الأمل من خلال بحث الظلال الوجدانية المعنوية لهذه الأسطورة، والتعبير لها عن مضامين مترسية من أعماق الشاعر[2]

كما استعمل الشابي الرمز الأسطوري في قصيدته المعنوية بـ "نشيد الجيار" أو هكذا غنى بروميتوس التي مطلعها:

سأعيش رغم الداء والأعـــــــداء كالنسر فوق القمة الشماء

أرنو إلى الشمس المضيئة ... هازئا بالسحب، والأمطار، والأنوار[3]

وهناك أخذت المقاومة شكل الصراع بين الشاعر ومجتمعه وامتلكه الإحساس بالتمرد والتصدي لكل أسباب الضعف،ن متخذا من الطبيعة عناصر المقاومة مستلهما ششجاعته من إيمانه الإنساني القوي الذي تشعر به أسطورة "بروميتوس" وكبير الآلهة "زيوس"، فإن أبا القاسم الشابي لم ينقل لنا أحداث الصراع في هذه الأسطورة، إنما اكتفى ببعض ملامحه التي توضحها شخصية "بروميتوس"*

تلك الشخصية التي لم تضعف أمام كل العقبات وصمدت في وجه كل المحن والصعوبات، وهذه الملامح هي التي نجدها في قصيدة الشابي المذكورة سلفا والمتمثلة في مظاهر الصمود والتحدي[4].

كما نجد الشاعر يعمد إلى التعبير عن معان شعورية وجدانية، كالحب والجمال... فيخلق بذلك جوا أسطوريا لشخصه، ولحبيبته، ويضفي عليها هالة من القداسة والعظمة تشبه عالم الأساطير ومن ذلك قصيدته "إلى عذارى أفروديت" أو "الجمال المنشود

يا عذارى الجمال والحب والأحلام بل يا بهاء الوجـــــــود

قد رأينا الشعور منســـــــــدلات كللت حسنها صباح الورود

---

[1]- ديوان أبي القاسم الشابي ورسائله، ص169.
[2]- عزيز لعكاشي: مظاهر الإبداع الفني عند الشابي، ص134.
[3]- ديوان أبي القاسم الشابي ورسائله، ص 15.
[4]- عزيز لعكاشي: مظاهر الإبداع الفني عند الشابي، ص135-136.
* بروميتوس هو من سرق النار بغية الإضاءة على البشر فعاقبته الآلهة.

ورأينا الجفون تبتسم... أو تحلم بالنور بالهوى بالنشيد

ورأينا الخدود،ضربها السحـــــر فآه من سحر تلك الخدود

ورأينا الشفاه تبسم عن دنيـــــا من الورد فضة أملود[1]

أو في قصيدته "صلوات في هيكل الحب" التي يقول فيها:

عذبة أنت كالطفولة، كالأحلام كاللحن، كالصباح الجديد

كالسماء الضحوك كالليلة القمراء كالورد كابتسام الوليـــد

يا لها من وداعة وجمـــــــال وشباب منعم أملـــــود!

يا لها من طهارة ، تبعث التقديـ س في مهجة الشقي العنيد! ...

يا لها من رقة، تكاد يرف الور د منها في الصخرة الجلمود!

أي شيء تراك؟ هل أنت" فينبـ س" تهادت بين الورى من جديد

لنعيد الشباب و الفرح المعـــــ سول للعالم التعيس العميد! [2]

هاتان القصيدتان الذكورتان متقاربتان، من حيث اشتراكهما في تحوير المرأة التي فتن بها الشاعر وسما بجمالها إلى مصاف القداسة الأسطورية، إلا أن القصيدة الأولى هي في مجملها لوحة فنية للجمال المنشود، أما بالنسبة للقصيدة الثانية فهي قصيدة تضم صورا حزينة لحبيبة الشاعر فأعطت جمالا ورونقا للقصيدة وأصبحت بذلك محبوبته مثالا للجمال والكمال.

وفي قصيدته "جمال الحياة" يصف الشابي جمال الشمس وقت الغروب وجمال الصباح حين يلج:

فاحتست خمر الندى الدا مس، من كأس الأقاح

واعتلت بلقيس عـــــرش الليل،في تلك النواحـــي

[1]- أبو القاسم الشابي: أغاني الحياة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1999، ص65.
[2]- المصدر نفسه، ص60.

ثم مالت لغـــــــرب بعد إضرام الكفـــاح

واستوى الليل برغم الشمـ س في العرش الفساح[1]

صور الشاعر في هذه القصيدة غروب الشمس وقدوم الليل وذلك بعد انقضاء النهار،كما قابل في هذه القصيدة بين حياة الطبيعة ونموها وبين حركة الزمن وتقلباته،وكأن الشاعر يصور صراعا وكفاحا بين مختلف مظاهر الكون،فالنهار في صراع مع الليل فما يكاد يومئ الفجر بتباشيره حتى يحين وقت الغروب ليضع بذلك حدا للإشراق، ومن هنا جاءت صوره الرمزية واعتلت بلقيس عرش الليل ليعطي معنى شعريا لحركة الزمن الذي يولد الحياة، والموت وبلقيس، رمزا لبلوغ الذروة والكمال، هذا الكمال الذي ينتهي أمام قوة وغدر الزمن[2]

وخلاصة القول أن الرموز الأسطورية في صورها المختلفة التي لمسناها في قصائد الشابي فيها قدر كبير من التواصل النفسي، والإيحاء الشعري لدى الشاعر.

[1]- ديوان أبي القاسم الشابي ورسائله، ص58.
[2]- عزيز لعكايشي: مظاهر الإبداع الفني عند الشابي، ص123.

3- الرموز اللغوية:

من المظاهر اللغوية التي نلمسها في شعر الشابي ن ظاهرة التكرار ، سواء تكرار كلمات أو جمل ، و حتى في بعض الأحيان مقاطع من ذلك قصيدته << أغاني التائه >> التي اخترنا منها هذه الأبيات

كان في قلبي فجر و نجـوم و بحار لا تغشيها الغيـــوم
واناشيـد و أطيار تحـــــوم و ربيع مشرق ، حلو جميل[1]

نلاحظ من خلال هذين البيتين أن الألفاظ كانت قليلة فلم تعد قادرة على استيعاب تجربة الشاعر و نقلها، فلجا الشاعر إلى ظاهرة لغوية لكي يغطي بها هذا العجز .

تتمثل هذه الظاهرة في تكرار حروف العطف التي سبقت الكلمات التي تعبر عن الحزن و الالم و التي من خلالها استطاع الشاعر استخدامها استخداما جيدا أعطى من خلاله تناسقا بين أجزاء قصيدته المعنونة بـ << الكآبة المجهولة >> و التي يقول فيها :

أنا كئيب ،

أنا حزين ،

كآبتي خالفت نظائرها

غريبة في عالم الحزن

كآبتي فـــــكرة مغردة

مجهولة من مسامع الزمن

.....

إلى أن يقول

[1] ديوان أبي قاسم الشابي و رسالته ، ص 156 .

أنـا كـئيب ، أنـا غـــــريب

و ليس في عالم الكآبة مـــن

يحمل معشار بعض ما اجد

كآبتي مـرة ، و إن صـرخت

روحي فـلا يسمعها الجسد[1]

إن هذا التكرار الوارد في المقطع الأول و الثاني يدل على فكرة من أفكار الشاعر التي يريد أن ينقلها لذلك نجد أن الشطر المكرر يدل على حالة الشاعر الوجدانية و هي الحزن و الالم ، و هذا ما نجده كذلك في قصيدته << أغاني التائه >> التي اقتطفنا منها هذه الابيات التي يقول فيها :

كان في قلبي فجرٌ، و نجوم ،

فـــإذا الكل ظـــلام و ســديْم

كان في قلبي فجر و نجوم [2]

إن هذا التكرار الموجود في هته الابيات إنما يبين لنا احاسيس الشاعر المتعنفة و ذلك من خلال الالفاظ التي استعملها و التي شكلت فيضا من معاني الحزن و الغضب ، و كل هذا نجه كذلك في قصيدته << النبي المجهول>> التي يقول فيها :

ايها الشعب ! ليتني كنت حطابا	فأهوى على الجذوع بفاسي !
ليتني كنت كالسيول ، إذا سالت	تهد القبور رمسا بـــــــرمس
ليتني كنت كالرياح ، فـــــأطوي	كل ما يخنق الزهور بنحسي
ليتني كنت كالشتاء ، أغـــــشي	كل ما أذبل الخريف بقرسي![3]

[1] المصدر السابق ، ص 31،32 .
[2] المصدر السابق ، ص 156 .
[3] المصدر نفسه ، ص 116 .

من خلال هذه الأبيات نجد ان الشاعر قد كرر أداة التمني << ليت >> في كل شطر ، هذا التكرار بدوره كشف لنا حدة الإنفعال و الغضب حتى أننا نجد أن الشاعر قد انسجم مع الطبيعة و اتخذ من عناصرها وسائل يدافع بها عن نفسه مثل العواصف و الرياح ن و الاعاصير ...

أما في قصيدته << صلوات في هيكل الحب >> نجد الشاعر يلح على توجيه الخطاب <<أنت>> في عدة أبيات متتالية و هذا ما يدل على أن محبوبته كانت رمزا للحياة عنده او كما أنه كان يتمنى أن تكون ، و هذا ما تدل عليه ألفاظه المستعملة حيث يكرر قوله : << أنت، أنت الحياة ...>> في البيتين التاليين : [1]

أنت...، أنت الحياة في قد سها السا ... مي ، و في سحرها الشجي الفريد
أنت...، انت الحياة ، في رقة الفجـ ... ـر في رونـــــق الربيع الولـــــيد
أنت...، أنت الحياة، كل ألـــــوان ... في رواء من الشباب ، جـــــديد[2]

لتكون بذلك هذه الحياة التي يحلم بها الشابي خالصة من كدر الحياة و صافية كما يقول في نفس القصيدة :

أنت دنيا من الأناشيد و الأحـــــــــ ... ـلام و السحر و الخيال المديد
أنت فوق الخيال ، و الشعر ، و الفن ... و فوق الذهى و فوق الحدود[3]

كما أن الشابي توسل بعض التهاويل البيانية كالنداء في قوله في قصيدة << إلى الله >> :

يا إله الوجود !هذي جراح ... في فؤادي ، تشكو إليك الّواهي
هذه زفرة يصعِّدها الـــــهمّ ... إلى مسمع الفضاء الـــــساهـي
هذه مهجة الشقاء تناجيك ... فهل أنت سامع يا إلـــــــــهي [4]

و النداء الذي استعمله الشاعر هنا يدل على التوسل و الخشوع ...و في موضع آخر يكرر النداء و يمضي به و ذلك تمثيلا للغضب و الثورة العارمة ، إذ يقول :

يا ضمير الوجود ! يا عالم الأروا ... ح ! يا ايها الفضاء الـــساهي !
يا خضم الحياة ، يزخـــر في الآ ... فاق في الترب ، في قرار المياه !
خبروني ، هل للورى من إلـــه ، ... راحـــــم ، مثل زعمهم . أوِاهِ [5]

---

[1] رجاء عيد : لغو الشعر ، قراءة في الشعر العربي المعاصر، ص 239 .
[2] ديوان ابي القاسم الشابي و رسائله ، ص 84 .
[3] المصدر نفسه ، ص 84 .
[4] المصدر نفسه ، ص 208 .
[5] ديوان ابي القاسم الشابي ، ص 210 .

و قد اعتمد الشاعر التخصيص الذي يوحي بالتأكيد و شدة الإتهام من تكراره للضمير <<أنت>> في أبيات متعددة متلاحقة : <<أنت أنزلتني >> ، << أنت أوصلتني >> ، << أنت أوقفتني >> ، << أنت أنشأتني >> ، << أنت كرهتني >> ، << أنت عذبتني >>[1]، و هذا في الابيات التالية :

أنت أوقفتني على لجة الـحز ... ن و جرعتني مـــرارة << آه !>>
أنت أنشأتني غريبا بنفســـــي ... بين قومي ، في نشوتي و انتباهي
انت كرهتني اللحياة ز ما فيـ ... ــــــــها و حببتني جمود الساهي
أنت جبلت بين جنبـي قلبات ... سرمدي الشـــــــــعور و الإنتباه
أنت عذبتني بدقـــــة حسِّـي ... و تـعقبتني بكـل الـــــداهي [2]

فالشابي أحسن و أجاد اختيار الانماط المتباينة التي يريد أن يصل إليها ، فألفاظه منسجمة مع معانيه .

و من هنا فإن عملية التركيب في للصورة الرمزية في شعر ابي القاسم الشابي و مراحل تدرجها يمكن أن نلخص بعضا من سماتها على النحو التالي :

1- أنها تؤدي وظيفة الإستكشاف : و ذلك عندما يحاول الشاعر التعبير عن واقعه النفسي و إحساسه الدفين من خلال استعمال رمز معين له دلالته و ابعاده ليكشف عن باعث التجربة و موضوعها .
2- الإتصال بين الشاعر و الرمز: و ذلك حينما يحاول الشاعر استخدام اللغوي المألوف غلى استخدام شعر جديد لتحقيق قدر من التواصل الوجداني في التجربة .
3- التحول المثالي للواقع : إن المتتبع لقصائص الشابي يلاحظ أن معظم صور الرمزية يأخذها من الطبيعة ، سجلت هذه الاخيرة هروبه و ميله إلى الإنعزالية في اللجوء إلى حياة الغاب المثالية بعد أن عجز المجتمع احتواء مشاعره لذلك نراه يهرب من عالم الواقع و يهيم بمثالية العاب لأنه فجد في الطبيعة العطاء و الكرم بعيدا عن الغرضية و النفعية .

[1] إليا الحاوي : أبو القاسم الشابي ، شاعر الحياة و الموت ، ص 41 .
[2] المصر السابق ، ص 209 .

خاتمة

خاتمة:

هذا هو **الشابي** شاعر الحب والحياة وكل ما نستطيع أن نختم به كلامنا هو أن نقول:

أن الشعر عند **الشابي** هو **الشابي** نفسه ،هو عقله الفوار وأعصابه المهتاجة والطبيعية المتدفقة ، وروحه الطيبة في عباب آلامها وسلسلة انفعالاته في مدها وجزرها، وليس من شك في أن هذه المكانة التي يتمتع بها **الشابي** إنما تعود إلى هذا الفيض الشاعري الذي أسهمت فيه هاته الروح فلولا عبقريته، ولولا ما في أدبه من خصائص تثير الأهمام لما كان له أثر في نفوس الجيل المعاصر في المشرق أو في المغرب ،وبقى شعره شعر الحياة والحب في غير التواء ولا تمويه فقد كان عمله الادبي امتداد لحياته.

- كما كان **الشابي** شاعر صادق الأيمان برسالة الشاعر آمن بتحرير الشعر من التقليد سواء وطني أم عاطفي .

- **الشابي** شاعر مرهف الحس واجه الحياة بأحداثها المريرة في سن صغيرة هذا ما جعل قصائده الشعرية تطبعها نزعة من الحزن .

- كان الشلبي محب لوطنه دعا إلى التحرر والإصلاح الاجتماعي.

- استعمل **الشابي** في قصائده في أشعاره عدة رموز وهذا ما زاد من ثراء قصائده لغويا ومعنويا .

- ومن خلال بحثنا هذا وتحليلنا لقصائده وجدنا معظم الصور الرمزية التي وظفها **الشابي** كانت مستلهمة من الطبيعة .

- كما كانت الأسطورة عند **الشابي** وسيلة من وسائل الإيحاء الشعري وظفها في قصائده في صورها المختلفة التي لمسناها في أشعاره.

- كما أحسن **الشابي** اختيار الألفاظ والتراكيب والأنماط اللغوية مما جعل ألفاظه في خالة انسجام تام مع معانيها.

- تنوعت المواضيع التي عالجها **الشابي** في قصائده كما كانت قصائده ثرية معرفيا، حيث وظف التاريخ، الأسطورة، الطبيعة،و غيرها.

- كل هذا أدى إلى خلق قصائد تتسم بقوة التأثير في الملتقى فكان **الشابي** بهذا ظاهرة لامعة في فترة من فتراته سيطل لها عشاق في كل مكان وأوان.

قائمة المصادر والمراجع:

القرأن الكريم

المصادر :

1- ابو القاسم الشابي : أغاني الحياة ، دار الكتاب العلمية ، بيروت ، لبنان ،ط1 1999
2- أبو القاسم الشابي : الخيال الشعري عند العرب ، الدار التونسية للنشر والتوزيع ، ط3
3- ديوان أبي القاسم الشابي ورسائله ، تقديم وشرح راجي الأسمر، مؤسسة المعارف بيروت، لبنان ، 1426 هـ/2005
4- ديوان بدر شاكر السياب ، ج1، دار العودة ، بيروت ، 1971
5- ديوان بدر شاكر السياب، ورجاء عيد ، لغة الشعر ، قراءة في الشعر العربي المعاصر ، منشأة المعارف ، مصر ، 2003

المراجع العربية

6- أنس داود : الأسطورة في الشعر العربي الحديث ، دار الجيل للطباعة ، القاهرة
7- أبو القاسم محمد كروا: الشابي ، حياته وشعره ، منشورات مكتبة دار الجيل بيروت ، لبنان ، ط5، 1954
8- أنور الجندي :الشعر العربي المعاصر ، تطوره وأعلامه، 1940/1875
9- أحمد سام ساعي : حركية الشعر الحديث في سورية من خلال أعلامه
10- إبراهيم رماني : أوراق في النقد الأدبي ، دار الشهاب ، الجزائر ،ط1 1985
11- إيليا الحاوي : الرمزية والسريالية في الشعر الغربي والعربي ، دار الثقافة بيروت ، 1980
12- الطاهر الهمامي : كيف نعتبر الشابي مجددا.؟ دراسة عرضية ، تونس 1985
13- حسين الحاج حسن : الأسطورة عند العرب في الجاهلية ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، بيروت، 1988
14- حسين تليلاني: الثورة الجزائرية في المسرح الجزائري (مسرحية مأساة جميلة) لعبد الرحمان الشرقاوي

15- حنا الفاخوري:الجامع في التاريخ و الأدب الحديث,دار الجيل بيروت 1986
16- رجاء عيد: لغة الشعر قراءة في الشعر العربي المعاصر، نشأة المعارف، مصر 2003
17- رجاء النقاش: أبو قاسم الشابي، شاعر الحب و الثورة ،دار القلم بيروت، لبنان،ط1 1971
18- زين العابدين السنوسي:أبو قاسم الشابي، حياته و شعره، الدار التونسية للنشر 1980
19- علي عشري زايد: إستدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، دار الفكر العربي,القاهرة 1997
20- عبد العزيز المقالح:أزمة القصيدة الجدية،دار الحداثة، دار الكلمة، صنعاء، ط1 1981
21- عمر فروخ: الشابي شاعر الحب و الحياة، ط3 دار العودة، بيروت 1983
22- عبد اللطيف شرارة: الشابي، دراسة تحليلية، دار الفكر العربي ،ط1 ، 1994
23- عبد المجيد الحر: أبو القاسم الشابي، دار الفكر العربي، ط1، 1994
24- عبد السلام المسدي: النقد و الحداثة، دار الطليعة و النشر، بيروت ، ط1, 1983
25- عز الدين إسماعيل: الشعر العربي المعاصر قضاياه و ظواهره الفنية و المعنوية دار الثقافة بيروت
26- محمد فتوح أحمد: الرمز و الرمزية في الشعر المعاصر، دار المعارف ،ط3 مصر 1984
27- مصطفى السعدني: البنيات الأسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث ، نشأة المعارف مصر 1987
28- ميخائيل نعيمة: دروب، دار صادر بيروت، ط5، 1968
29- محمد مصايف: دراسات في النقد و الأدب ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1988
30- مصطفى ناصف: الصورة الادبية ، دار الاندلس ، بيروت،

31- نسيمة بوصلاح: تجلي الرمز في الشعر الجزائري المعاصر، اصدارات الجزائر،2000.
32- يوسف وغليسي: اوجاع صفصافة في مواسم الاعصار،دار الابداع، ط1،1995.

المراجع المترجمة

33- رنيه ويليك وواسطن وارين: نظرية الادب ترجمة (محي الدين صبحي)المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت،1987

رسائل جامعية:

34- عزيز لعكايشي: مظاهر الابداع الفني عند الشابي ،رسالة ماجستير 1979-1980 معهد الاداب واللغة العربية ،قسنطينة.
35- فاطمة بوقاسة: الرمز الثوري في الشعر العربي المعاصر ،شهادة الماجستير ، كلية الادب و اللغات جامعة منتوري قسنطينة ،سنة 2006-2007

المعاجم والقواميس:

36- جمال الدين محمد إبن منظور: لسان العرب ، دار الصبح ، بيروت، لبنان ، ط1، ج1، 2006
37- الفيروز أبادي : " معجم اللغة العربية ،القاهرة ، ط3 ، 1998

المراجع الأجنبية :

38- Petite larousse illustre ,bloire larousse,paris,1980,p976.

فهرس الموضوعات

مقدمة:.....

تمهيد

الفصل الأول :

الرمز ماهيته وتطوره.....

I. قراءة في مصطلح الرمز .

1 - لغة.....

2 – اصطلاحا.....

II. مستوياته وأنواعه.

1 –الرمز الأسطوري.....

2 –الرمز الطبيعي.....

3 –الرمز التراثي.....

4 –الرمز الثوري.....

5 – الرمز الديني .....

III. تقاطعه مع مصطلحات أخرى.

1 – الرمز والأسطورة .....

2 –الرمز ز الاستعارة.....

الفصل الثاني:

I.–نبدة عن حياة **الشابي**.....

1 - مولده ونشأته.....

2 - دراسته وثقافته.....

3- شخصيته.....

أ – ديوان أغاني الحياة .....

ب – الخيال الشعري عند العري .....

ج - رسائل **الشابي** .....

د - مذكرات **الشابي** .....

هـ - شعراء المغرب .....

و - وفاته .....

II.– تجليات الرمز في شعر أبي القاسم **الشابي**.....

1 – الرموز الطبيعية .....

2 - الرموز الأسطورية .....

3 – الرموز اللغوية .....

- خاتمة.